وفاة النبي ﷺ

وأظلمت المدينة

كتبه

نزار بن عبد القادر بن محمد الريان
النعلاواني العسقلاني

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم

وفاة النبي ﷺ

وأظلمت المدينة

تقديم

الأستاذ الشيخ محمد بن صالح طه

كتبه

نزار بن عبد القادر بن محمد الريان آل النعلاواني العسقلاني

فلسطين المغتصبة - غزة ١٤٢٨هـ

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

الطّبعَة الثّانيَة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب : وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

المؤلف : الدكتور الشهيد نزار ريان (ت ١٤٣٠هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب : سيرة نبوية

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٢٣٩.٢)

عدد الأجزاء : (١)

عدد المجلّدات : (١)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلّد فني

عدد الصفحات : (١٢٨ صفحة)

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هـذا الكتـاب أو أي جـزءٍ منـه بـأيِّ شكـلٍ مـن الأشكـال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظـام إلـكتروني أو ميكـانيكي يمكّـن مـن استرجـاع الكتـاب أو أي جـزءٍ منـه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصـول على إذن خطي مسبقاً من الناشر .

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 32 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلعسقلاني ، نزار عبد ٱلقادر محمد ريان النعلواني

وأظلمت ٱلمدينة ، وفاة ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم

نزار عبد ٱلقادر محمد ريان النعلواني ٱلعسقلاني

عدد الصفحات ١٢٨ ص ، حجم الورق 24×17 سم ، اسمه A5

١. ٱلسيرة ٱلنبوية ٢. وفاته صلى ٱلله عليه وسلم

ديوي : ٢٣٩،٢ عسق ر. ي ١.

دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه ، وخاتم رسله ، **وبعد** :

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لِأَنْ تضربَ بسهمٍ في نشر الكتب النافعة للأمة ـ **لَتحمَدُ الله َسبحانه وتعالىٰ علىٰ أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم** .

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفىٰ عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ، ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة ؛ وذلك منذ ما يزيد علىٰ ستة عقود ، وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة منذ عدة سنوات امتداداً لتلك الجهود، وسيراً علىٰ تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر .

ومنذ انطلاقة هـٰذا المشروع المبارك يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب العلم في فنون مختلفة معظمها يُطبع لأول مرة ؛ كتفسير العُليمي « فتح الرحمـٰن في تفسير القرآن » ، و« مرسوم المصحف » للعُقيلي ، و« الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة » لأبي بكر عبد الغني المشتهر باللبيب ، و« معاني الأحرف السبعة » لأبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أحمد بن الحسن الرازي ، تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر ، و« حاشية مسند الإمام أحمد » للسندي ، و« شرحين لموطأ الإمام مالك » ـ لكُلٍّ من القنازعي والبوني ، و« شرح مسند الإمام الشافعي » للرافعي ، و« نخب الأفكار شرح معاني الآثار » للبدر العيني ، و« مصابيح الجامع » للقاضي بدر الدين الدَّماميني ، و« التقاسيم والأنواع » للإمام ابن حبان .

إضافة إلىٰ « صحيح الإمام ابن خزيمة » بتحقيقه الجديد المتقَن ، ومثله كتاب « السنن الكبرىٰ » للإمام النسائي ، المحقَّق علىٰ عدة نسخ خطية ، و« المخلصيات » لأبي طاهر المخلص ، و« مطالع الأنوار » لابن قرقول ، و« نهاية المطلب في دراية المذهب » للإمام الجويني ، بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالىٰ ، عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي ، و« الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف » للإمام ابن المنذر ، بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه ، عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي أيضاً ، و« التبصرة » للإمام اللخمي « حاشية الخلوتي » في الفقه الحنبلي .

ومؤخراً كتاب « الأصل » لمحمد بن الحسن الشيباني ، كاملاً محققاً علىٰ أصول عدة .

وفي الطريق إصدارات أخرىٰ مهمة تمثل الفقه الإسلامي في عهوده الأولىٰ .

كما طبعت الوزارة لأول مرة كتاب « جامع الآثار في السير ومولد المختار » لابن ناصر الدين الدمشقي ، و« الوجيز في السيرة » و« عصر السيرة » كلاهما للدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله .

وفي معتقد أهل السنة والجماعة علىٰ مذهب السلف الصالح أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً وهو : « الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد » لابن العطار ، تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ .

هـٰذا في جانب مايُنشر لأول مرة من كتب التراث .

أما في الدراسات والتآليف المعاصرة : فقد نشرت الوزارة مجموعة متميزة من الرسائل العلمية وغيرها ؛ منها : « القيمة الاقتصادية للزمن »، و« نوازل الإنجاب » ، و« الأحكام المتعلقة بالتدخين » ، وغيرها .

وفي الطريق ـ بإذن الله تعالىٰ ـ ما تقر به عيون الباحثين من دراسات معاصرة في القرآن والسنة ، والنوازل بأنواعها المختلفة .

* * *

ويسرنا أن نقدم اليوم كتاباً من نوع خاص ، يحرك القلوب المؤمنة ويذكرها بالحبيب المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، مستعرضاً أيامه الأخيرة في هٰذه الدار ، منذ اشتداد مرضه إلىٰ أن لقي ربه جل وعلا ، وقد كانت أياماً عصيبة على الصحابة الكرام .

وقد وُفق الكاتب في الانتقال بالقارىء نقلة شعورية متخطية حدود الزمان والمكان ؛ ليعيش تلك الأيام والليالي بسكونها وطولها وشدتها .

ولئن كان هٰذا الكتاب في أصله بحثاً علمياً جامعياً . . فإن الباحث تمكن أن يجعله من كتب الرقاق بجدارة فائقة .

ولم يمر وقت طويل علىٰ كتابته حتىٰ يلحق الكاتب بربه جل وعلا في غارة يهودية غادرة علىٰ منزله بغزة ، أودت بحياته وحياة زوجاته وأولاده فرحمهم الله رحمة واسعة .

ويسرنا أن نقدم للأمة هٰذه الطبعة ؛ تذكيراً وتعزية بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وتكريماً لعلماء فلسطين وشهدائها ، وإهداء للمرابطين الصابرين في أكناف بيت المقدس ، وعزاء لكل مسلم في زمن تكالب الأعداء ؛ فإن في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عزاء لكل مصاب .

نسأل الله جل وعلا أن ينفع بهٰذا العمل ، وأن يزيدنا من فضله وتوفيقه

إدارة الشؤون الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ .

بين يدي الكتاب

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، ٱلْقَائِلِ جَلَّ وَعَلاَ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ فَنِعْمَ ٱلْعِدْلاَنِ وَنِعْمَتِ ٱلْعِلاَوَةُ!! كَمَا قَالَ ٱلْفَارُوقُ .

وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ عَلَى ٱلرَّحْمَةِ ٱلْمُهْدَاةِ لِلْعَالَمِينَ ، ٱلَّذِي مَا مَاتَ حَتَّىٰ تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى مِثْلِ ٱلْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ . وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ ٱلْمُجَاهِدِينَ ، وَٱلتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِذَا كَانَ ٱلأَثَرُ عَنْ أَبِي ٱلسِّبْطَيْنِ يَقُولُ : (إِذَا مَاتَ ٱلْعَالِمُ.. ٱنْثَلَمَ فِي ٱلإِسْلاَمِ ثُلْمَةٌ ، وَلاَ يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ)[1] وَإِذَا كَانَ تَرْجُمَانُ ٱلْقُرْآنِ فَسَّرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ .

---

(١) « المقاصد الحسنة » رقم (٧٩) ، وروي نحوه مرفوعاً ولا يصح .

قَالَ : مَوْتُ عُلَمَائِهَا.. فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ٱلْمُرْتَفِعُ إِلَى ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ هُوَ ٱلرَّحْمَةُ ٱلْمُهْدَاةُ لِلْعَالَمِينَ ، وَقَائِدُ ٱلْغُرِّ ٱلْمُحَجَّلِينَ إِلَىٰ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ؟!

لاَ شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ مُصِيبَةً فِي ٱلدِّينِ لَيْسَ وَرَاءَهَا مَرْمَىً ، وَفَتْحَةً فِي ٱلإِسْلاَمِ لاَ يُوجَدُ فِي ٱلْكَوْنِ كُلِّهِ مَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ سَدِّهَا ، وَلِذَا وَرَدَتِ ٱلآثَارُ عَنْ بَعْضِ ٱلصَّحَابَةِ تَقُولُ مَا مُؤَدَّاهُ : إِنَّا مَا أَضْجَعْنَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا .

هَـٰذَا ؛ وَإِنَّ مِمَّا أَرْسَلَ عَلَيْهِ ٱلدُّكْتُورُ نِزَارُ ٱلرَّيَّانُ إِضَاءَةً بَيَانِيَّةً ، وَأَشِعَّةً بَلاَغِيَّةً.. قِصَّةَ مَرَضِ سَيِّدِنَا أَبِي ٱلْقَاسِمِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ ، وَمَا رَافَقَهُمَا مِنْ تَفَاعُلاَتٍ وَأَحْدَاثٍ .

وَلَقَدْ وُفِّقَ ـ رَعَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ـ فِي ٱصْطِفَاءِ ٱلْخَطِّ ٱلْعَرِيضِ لِهَـٰذَا ٱلْحَدَثِ ٱلْجَلَلِ ؛ حَيْثُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ عُنْوَانَ : « **وَأَظْلَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ** » .

وَهَـٰذَا ٱلْبَحْثُ عَلَىٰ صِغَرِ حَجْمِهِ ، وَقِلَّةِ صَفَحَاتِهِ.. **يَتَمَيَّزُ بِٱلْخَصَائِصِ ٱلتَّالِيَةِ** :

● إِنَّ ٱلْمُسْتَنَدَاتِ ٱلْحَدِيثِيَّةَ ٱلَّتِي ٱرْتَكَزَ عَلَيْهَا ٱلْمُؤَلِّفُ كُلَّهَا بِلاَ ٱسْتِثْنَاءٍ وَثَائِقُ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ ؛ إِذْ هِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ ٱلصِّحَّةِ وَٱلْحُسْنِ ، فَهِيَ مُنْتَقَاةٌ مُصَفَّاةٌ ، مُخَرَّجَةٌ تَخْرِيجاً عِلْمِيّاً ، وَمُبَرَّأَةٌ مِنْ وَصْمَةِ ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَضْعِ ، وَلاَ غَرْوَ ؛ فَمُحَبِّرُ هَـٰذَا ٱلْبَحْثِ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّخَصُّصِ

فِي ٱلسُّنَّةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ ٱلنَّاظِمُ ٱلْقَدِيمُ قَدْ قَالَ فِي « أُرْجُوزَتِهِ » :

وَلْيَعْلَـــمِ ٱلطَّـــالِـــبُ أَنَّ ٱلسِّيَـــرَا
تَجْمَـــعُ مَـــا صَـــحَّ وَمَـــا قَـــدْ أُنْكِـــرَا[1]

فَإِنَّ هَـٰذَا ٱلْبَحْثَ ـ وَهُوَ جُزْءٌ أَخِيرٌ مِنَ ٱلسِّيرَةِ ٱلْعَطِرَةِ ـ رَفَلَ فِي حُلَلِ ٱلصِّحَّةِ وَٱلْمَتَانَةِ ، وَلَبِسَ بُرْدَيِ ٱلأَصَالَةِ وَٱلأَنَاقَةِ ، فَلَمْ تَشُنْهُ نَكَارَةٌ ، وَلَمْ يَنْخُرْ فِي سُطُورِهِ ٱلضَّعْفُ .

● يَرَاعَةُ ٱلدُّكْتُورِ نِزَارِ ٱلرَّيَّانِ كَانَتْ تَمُجُّ صِدْقَ ٱلأَحَاسِيسِ ، وَتَنْقُشُ ٱلصُّورَةَ ٱلْبَاطِنَةَ لِلْكَاتِبِ ، بَلْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ ، فَكَانَتْ مَدَامِعُ ٱلْقَلْبِ تَسِيلُ عَلَى ٱلطُّرُوسِ عَبَرَاتٍ دَامِيَةً ، وَتَبَدَّتِ ٱلأَلْفَاظُ مُتَوَاصِلَةَ ٱلأَحْزَانِ ، مُتَجَهِّمَةَ ٱلْمَعَالِمِ ، وَمَا زَادَتْهَا ٱلْمِسْحَةُ ٱلأَدَبِيَّةُ إِلاَّ وَابِلاً مِنَ ٱلأَنَّاتِ وَٱلآهَاتِ ، تَتَدَفَّقُ مِنْ عَاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ بِٱلإِيمَانِ ٱلرَّاسِخِ بِٱلْحُبِّ ؛ لِذَلِكَ كَانَ عَرْضُ ٱلْمَرَضِ وَٱلْوَفَاةِ نَاصِعاً بِٱلْحَقَائِقِ كَامِلَةً ، وَمَا كَادَ أَنْ يَفِيَ بِحَقِّ هَـٰذَا ٱلْمُصَابِ ٱلْعَظِيمِ لَوْلاَ تَمَوُّجُ ٱلْعَاطِفَةِ وَتَفَاعُلُهَا ٱلصَّادِقُ .

● لاَ مِرَاءَ أَنَّ ٱلْبَحْثَ هُوَ حَلْقَةٌ أَخِيرَةٌ مِنَ ٱلسِّيرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ، وَأَيْضاً لاَ جِدَالَ أَنَّ هَـٰذِهِ ٱلْحَلْقَةَ مُنْتَثِرَةٌ أَجْزَاؤُهَا فِي كُتُبِ ٱلسِّيَرِ وَبُطُونِ ٱلتَّوَارِيخِ ، إِلاَّ أَنِّي ـ بِحَسَبِ عِلْمِي ـ لَمْ أَرَ مَنْ خَصَّ هَـٰذِهِ ٱلْحَلْقَةَ

---

(١) « ألفية السيرة النبوية » للعراقي (ص ٢٩) .

بِٱلتَّأْلِيفِ ٱسْتِقْلالاً ، وَلاَ مَنْ أَحْكَمَ ٱلْكَلاَمَ عَلَى ٱلْمَوْضُوعِ إِحْكَاماً يَلِيقُ بِمَقَامِ صَاحِبِ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ؛ مِنْ حَيْثُ جَمْعُ ٱلرِّوَايَاتِ وَٱنْتِقَاؤُهَا، وَضَمُّ ٱلْمُتَنَاثِرِ وَعَرْضُ ٱلنَّتَائِجِ ، وَتَقْيِيدُ ٱلأَوَابِدِ ، وَتَرْصِيعُ ٱلْبَحْثِ بِٱلْفَوَائِدِ ، وَٱلتَّفَنُّنُ فِي تَسَلْسُلِ ٱلأَحْدَاثِ دُونَ تَرْكِ فَجَوَاتٍ تُخَفِّفُ مِنَ ٱلْوَطْأَةِ ، أَوْ تُبَدِّدُ ذَلِكَ ٱلتَّفَاعُلَ ٱلإِيمَانِيَّ ، فَكَأَنَّ فِكْرَهُ وَيَرَاعَتَهُ يَدْفَعَانِ ٱلْمُتَابِعَ دَفْعاً مُنْكَراً إِلَى ٱرْتِشَافِ ٱلْبَحْثِ حَتَّى ٱلثُّمَالَةِ ، وَهَـٰذَا نَهْجُ ٱلْمُوَفَّقِينَ ٱلَّذِينَ بَلَغُوا ٱلشَّأْوَ ٱلْقَصِيَّ فِي ٱلإِحْسَانِ وَٱلإِتْقَانِ .

● كَأَنَّ فَلْسَفَةَ ٱصْطِفَائِهِ لِهَـٰذَا ٱلْبَحْثِ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْخُصُوصِ نَجَمَتْ مِنْ ذَلِكَ ٱلظُّلْمِ ٱلْمُتَرَاكِمِ ٱلَّذِي أَطْبَقَ عَلَى إِخْوَتِنَا ٱلْفِلَسْطِينِيِّينَ ، وَٱحْتِكَاكِهِ بِقَوَافِلِ ٱلشُّهَدَاءِ ٱلَّتِي تَرْتَفِعُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ عَلْيَاءِ ٱلْحَيَاةِ ٱلأَبَدِيَّةِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلسَّرْمَدِيِّ ، وَرُضُوخِ ٱلْمُجْتَمَعِ ٱلدَّوْلِيِّ لِلتَّسَلُّطِ ٱلأَمْرِيكِيِّ ٱلصُّهْيُونِيِّ ، فَتَمَخَّضَ عَنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُكَابَدَاتِ هَـٰذِهِ ٱلنَّفَثَاتُ ٱلإِيمَانِيَّةُ ، فَإِنَّ فِيهَا عَزَاءً وَعِزَاءً ، وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَوْفِيقاً .

وَصَنِيعُ ٱلدُّكْتُورِ نِزَارٍ ٱمْتِثَالٌ لِلتَّوْجِيهِ ٱلنَّبَوِيِّ ٱلآمِرِ بِٱلتَّعَزِّي بِمُصِيبَتِنَا بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْمَرْفُوعِ : « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ . . فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي ، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمَصَائِبِ »(١) ، وَفِي لَفْظٍ لِابْنِ مَاجَهْ : « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ أَيُّمَا أَحَدٍ

---

(١) مسند الدارمي (٨٥) .

مِنَ ٱلنَّاسِ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ . . فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ ٱلْمُصِيبَةِ ٱلَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ؛ فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي »[1] .

وَهَـٰذَا تَوْفِيقٌ ظَاهِرٌ مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ ـ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ـ لِلْمُؤَلِّفِ .

فَهَنِيئاً لَهُ إِتْقَانَهُ لِلْبَحْثِ ، وَتَنْقِيَتَهُ مِنْ شَوَائِبِ ٱلضَّعْفِ ، وَإِصَابَتَهُ ٱلسُّنَّةَ فِي ٱلتَّعَزِّي بِٱلْمُصِيبَةِ ٱلْعُظْمَىٰ ، وَتَذْكِيرَ ٱلنَّاسِ بِهَا فِي هَـٰذَا ٱلْعَصْرِ ٱلْمُتَمَوِّجِ بِجَلَائِلِ ٱلْمَصَائِبِ ، وَكَثْرَةِ ٱلْهَرْجِ .

وَبَعْدُ : فَإِنَّ دَارَ ٱلْمِنْهَاجِ إِذْ تُخْرِجُ هَـٰذَا ٱلْبَحْثَ ٱللَّطِيفَ فِي ثَوْبٍ قَشِيبٍ ، وَإِخْرَاجٍ فَنِّيٍّ مُتَمَيِّزٍ . . **لَتَهِيبُ بِٱلأُمَّةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ ٱلَّتِي ٱصْطَلَتْ بِنِيرَانِ ٱلْفُرْقَةِ وَٱلْغُرْبَةِ ، وَتَدَاعِي ٱلأُمَمِ عَلَيْهَا أَنْ تَقْرَأَ هَـٰذَا ٱلْبَحْثَ وَأَضْرَابَهُ** ؛ لِتَتَعَزَّىٰ فِي مُصِيبَتِهَا ، وَتَنْهَضَ مِنْ كَبْوَتِهَا ، وَتَنْشَطَ لِلِاحْتِكَامِ فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ إِلَى ٱلْمَصْدَرَيْنِ ٱلنَّيِّرَيْنِ : كِتَابِ ٱللهِ ٱلْفُرْقَانِ ، وَسُنَّةِ ٱلْمَأْمُورِ بِٱلْبَيَانِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ ٱلصَّالِحَاتُ

ٱلنَّاشِر

---

(١) ابن ماجه (١٥٩٩) .

تَقْدِيمٌ

كتَبَهُ مَشْكُورًا

أُسْتَاذِي وَشَيْخِي أَبُو أَيْمَنَ طٰهَ

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَمَنِ ٱسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ ، وَٱهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَشَرَفٌ أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي أَيُّ شَخْصٍ كِتَابَةَ تَقْدِيمٍ لِكِتَابِهِ ، وَيُصْبِحُ هٰذَا ٱلشَّرَفُ عَظِيمًا عِنْدَمَا يَطْلُبُ ذَلِكَ عَالِمٌ فَاضِلٌ كَٱلدُّكْتُورِ نِزَارٍ رَيَّانَ .

وَيَزْدَادُ هٰذَا ٱلشَّرَفُ لِيُصْبِحَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عِنْدَمَا يُخَاطِبُنِي بِهٰذَا ٱلنِّدَاءِ ٱلْحَبِيبِ : (ٱلْوَالِدُ ٱلْمُرَبِّي) ، فَحَيَّا ٱللهُ هٰذَا ٱلأَخَ ٱلطَّيِّبَ ، وَزَادَهُ بِرًّا وَتَوَاضُعًا .

وَيَبْلُغُ هٰذَا ٱلشَّرَفُ ٱلذِّرْوَةَ عِنْدَمَا يَكُونُ ٱلتَّقْدِيمُ لِكِتَابٍ عَنِ ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هٰذَا ٱلْكِتَابُ ـ « **وَأَظْلَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ** » ـ ٱلصَّغِيرُ فِي حَجْمِهِ ، ٱلْقَلِيلُ فِي صَفَحَاتِهِ . . هُوَ ٱلْكَبِيرُ وَزْنُهُ ، ٱلْكَثِيرُ فِي نَفْعِهِ وَفَائِدَتِهِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

لَقَدْ كَانَ ٱلْمُؤَلِّفُ مُوَفَّقًا عُمُومًا ، وَفِي ٱخْتِيَارِ ٱلْعُنْوَانِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ ؛ إِذْ صَوَّرَ بِدِقَّةٍ حُزْنَ ٱلْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا عَلَىٰ فِرَاقِ سَيِّدِ ٱلْخَلْقِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنَّ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلَّتِي لاَ مِرَاءَ فِيهَا : أَنَّ هَـٰذَا ٱلرَّاحِلَ ٱلْكَرِيمَ صَلَوَاتُ رَبِّنَا وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ تَرَكَ وَرَاءَهُ نُورًا وَضِيَاءً لِلْعَالَمِينَ حَتَّىٰ يَرِثَ ٱللهُ ٱلأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

وَلاَ يَفُوتُنِي أَنْ أُؤَكِّدَ أَنَّ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ ٱلثَّمِينَ هُوَ مِنَ ٱلْمُؤَلَّفَاتِ ٱلنَّادِرَةِ فِي زَمَانِنَا ، ٱلْخَالِيَةِ مِنَ ٱلأَخْطَاءِ ٱللُّغَوِيَّةِ ، وَٱلأَحَادِيثِ ٱلْمَوْضُوعَةِ وَٱلضَّعِيفَةِ .

جَزَى ٱللهُ أَخَانَا ٱلْحَبِيبَ أَبَا بِلاَلٍ فَضِيلَةَ ٱلشَّيْخِ ٱلأُسْتَاذِ ٱلدُّكْتُورِ نِزَارٍ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ ، وَبَذَلَ مِنْ جُهْدٍ ، وَأَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعُمَّ نَفْعُهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مَا يُقَدِّمُهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ قُدْوَةً لِلْكُتَّابِ وَٱلْمُتَحَدِّثِينَ ، فَيَحْرِصُوا عَلَى ٱلدِّقَّةِ وَٱلضَّبْطِ ، وَخَاصَّةً عِنْدَ ٱلاسْتِشْهَادِ بِٱلآيَاتِ وَٱلأَحَادِيثِ ، وَأَنْ يَكُونَ ٱلاهْتِمَامُ بِٱلْكَيْفِ لاَ بِٱلْكَمِّ .

وَٱللهُ ٱلْمُوَفِّقُ ، وَٱلْهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

ٱلأُسْتَاذُ ٱلشَّيْخُ : مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ طَـٰهَ

فِلَسْطِينُ . غَزَّةُ . ٱلْبُرَيْجُ

(٢٠) ربيع الأول (١٤٢٨هـ)

مُقَدِّمَةُ ٱلْبَاحِثِ

« وَأَظْلَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ » عُنْوَانُ دِرَاسَةٍ تَعْرِضُ ٱلأَحَادِيثَ وَٱلآثَارَ ٱلْوَارِدَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصْحَابِهِ ، أَوْرَدَهَا ٱلْبَاحِثُ فِي مَطَالِبَ مُتَرْجَمَةٍ ، تَابَعَ فِيهَا مَا حَدَثَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ بَدَأَ ظُهُورُ ٱلْمَرَضِ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ قَبَضَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهِ .

وَبَلَغَتْ رِوَايَاتُ ٱلْبَحْثِ مِئَةً وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ حَدِيثًا[1] ، وَفِيهَا تَكْرَارٌ وَتَقْطِيعٌ ٱقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ ٱلدَّرْسِ ٱلْمَوْضُوعِيِّ ، ٱلَّذِي يُرَادُ مِنْهُ ٱلِاسْتِفَادَةُ مِنَ ٱلْحَدِيثِ فِي مَوَاطِنَ عِدَّةٍ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلْمُكَرَّرَ فِي ٱلْبَحْثِ لاَ يُشَكِّلُ ظَاهِرَةً بَيِّنَةً .

وَٱكْتَفَى ٱلْبَاحِثُ بِٱلْحَدِيثِ ٱلْمَقْبُولِ : ٱلصَّحِيحِ وَٱلْحَسَنِ بِشِقَّيْهِمَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثًا وَاحِدًا ضَعِيفًا فِيمَا يَعْلَمُ ، وَحَكَمَ عَلَى ٱلأَحَادِيثِ ، ٱللَّهُمَّ إِلاَّ « ٱلصَّحِيحَيْنِ » ، فَحُكْمُهُمَا مَعْلُومٌ .

---

(١) بِٱعْتِبَارِ تَقْطِيعِ ٱلْحَدِيثِ ، لاَ بِٱعْتِبَارِ أَصْلِهِ وَصَحَابِيِّهِ .

وَصَدَّرَ ٱلْحَاشِيَةَ بِٱلْحُكْمِ عَلَى ٱلْحَدِيثِ بِخَطٍّ غَلِيظٍ ؛ لِيُعْلَمَ مِنْ سَرِيعِ ٱلنَّظْرَةِ حُكْمُهُ .

وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ ٱلِاقْتِصَارَ عَلَى ٱلْخَبَرِ ٱلْمَقْبُولِ فِي كُتُبِ ٱلرِّقَاقِ .

وَكُتِبَتْ هَـٰذِهِ ٱلدِّرَاسَةُ فِي ٱلْجَامِعَةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّيَّةِ أُصُولِ ٱلدِّينِ ، قِسْمِ ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ وَعُلُومِهِ ، بِفِلَسْطِينَ ، وَقُدِّمَتْ ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ ٱلْبُحُوثِ لِلتَّرْقِيَةِ ٱلْعِلْمِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ بِفَضْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَمِنَّتِهِ سَنَةَ (١٤١٧هـ) .

وَأَعَادَ ٱلْبَاحِثُ ٱلنَّظَرَ فِيهِ بُغْيَةَ نَشْرِهِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، بَعْدَ ٱلنَّشْرِ ٱلْعِلْمِيِّ ٱلْخَاصِّ ، **وَعَلَيْهِ** : فَقَدْ تَمَّ ٱلتَّعْدِيلُ فِيهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْطِنٍ ، وَحَذَفَ ٱلْبَاحِثُ مِنْهُ بَعْضَ ٱلأَحَادِيثِ ٱلَّتِي تَبَيَّنَ لَهُ ضَعْفُهَا ، مَعَ حُكْمِ بَعْضِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ عَلَيْهَا بِٱلْقَبُولِ[1] ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ بَعْضَهَا ، وَغَيَّرَ فِي طَبَعَاتِ بَعْضِ مَصَادِرِهِ ، مِمَّا فَتَحَ ٱللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَنُشِرَ أَخِيرًا .

وَٱخْتِيَارُ ٱلْبَاحِثِ عُنْوَانَ ٱلدِّرَاسَةِ : « **وَأَظْلَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ** » قَبَسٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حِينَ يَقُولُ عَنِ

---

(١) وَٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْبَاحِثَ يَعْتَمِدُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ : أَنَّهُ ٱشْتَرَطَ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي ٱلْبَحْثِ قَبُولَ حُكْمِ أَهْلِ ٱلصَّنْعَةِ عَلَى ٱلأَخْبَارِ ، وَٱكْتَفَىٰ فِي هَـٰذِهِ ٱلْمَرَّةِ بِحُكْمِهِ وَدِرَاسَتِهِ .

ٱلْمَدِينَةِ : إِنَّهَا (**أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ**)[1] سَاعَةَ وَارَىٰ حَبِيبَنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتُّرَابُ .

وَبَلَغَتِ ٱلدِّرَاسَةُ : **ٱثْنَيْ عَشَرَ مَطْلَبًا** ، وَخَاتِمَةً .

● **فِي ٱلْمَطْلَبِ ٱلأَوَّلِ** : ٱلأَمَارَاتُ ٱلدَّالَّةُ عَلَى ٱقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

بَيَّنَ ٱلْبَاحِثُ فِيهَا ٱلأَحَادِيثَ وَٱلآثَارَ ٱلْوَارِدَةَ ٱلَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ دُنُوِّ أَجَلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ ٱلأَخْبَارُ ٱلَّتِي فَهِمَ مِنْهَا ٱلصَّحَابَةُ قُرْبَ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● **وَفِي ٱلْمَطْلَبِ ٱلثَّانِي** : تَلَطُّفُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ فِي إِطْلاَعِهِمْ عَلَىٰ خَبَرِ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي هَـٰذَا ٱلْمَطْلَبِ إِشَارَاتٌ نَبَوِيَّةٌ خَفِيفَةٌ ؛ مَا بَيْنَ هَمْسَةٍ وَسَكْنَةٍ ، وَنَظْرَةٍ وَسَكْتَةٍ ، يَفْهَمُ مِنْهَا ٱلصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ : أَنَّهُ أَجَلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَضَرَ ، وَأَنَّهُ يُوشِكُ ٱلْفِرَاقُ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ ٱلرِّفَاقِ .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، يَرِدُ فِي هَـٰذِهِ ٱلدِّرَاسَةِ بِرَقْمِ (١١٢) .

وَيَكْثُرُ فِي هَـٰذَا ٱلشَّأْنِ إِيحَاءُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقِلُّ فِيهِ صَرِيحُ ٱلْكَلَامِ .

وَفِـي ٱلنَّفْـسِ أَشْيَـاءُ وَفِيـكَ فِطَـانَـةٌ
سُكُـوتِـي بَيَـانٌ عِنْـدَهَـا وَخِطَـابُ

وَمَا إِشْفَاقُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَفُّقُهُ فِي إِخْبَارِهِمْ . . إِلاَّ لِأَنَّ ٱلأَصْحَابَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَصَوَّرُونَ وَفَاةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرَغْمَ رِقَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَهْيِئَةِ أَصْحَابِهِ لِخَبَرِ وَفَاتِهِ ، وَتَيْسِيرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَتَابُعِ ٱلآيَاتِ فِيهِ . . إِلاَّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْهَشُونَ بِٱلْبُكَاءِ ، وَيَذْرِفُونَ ٱلدَّمْعَ ، وَيَكْثُرُ شَهِيقُهُمْ وَٱلْخَنِينُ كُلَّمَا سَمِعُوا مِنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

● **أَمَّا ٱلْمَطْلَبُ ٱلثَّالِثُ** : فَقَدْ تَحَدَّثَ فِيهِ ٱلْبَاحِثُ عَنْ تَطَلُّعِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بَيْتِ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ؛ لِيُمَرَّضَ فِيهِ عِنْدَهَا ، وَلِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهَا ؛ فَهِيَ ٱلْحَبِيبَةُ ٱلَّتِي يُوشِكُ ٱلْمَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا .

فَقَدْ تَاقَتْ نَفْسُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بَيْتِ عَائِشَةَ

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ؛ لِأُنْسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ، وَلِحُبِّهِ إِيَّاهَا أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ أَزْوَاجِهِ ؛ وَلِذَلِكَ ٱسْتَأْذَنَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجَهُ ، فَأَذِنَّ لَهُ فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● **وَفِي ٱلْمَطْلَبِ ٱلرَّابِعِ** : يَذْكُرُ ٱلْبَاحِثُ آخِرَ ٱلْخُطَبِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ، وَقَدِ ٱسْتَشْعَرَ ٱلصَّحَابَةُ مِنْهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمُ ٱلْحَقِيقَةَ ، وَقَدْ كَانُوا لاَ يَصْبِرُونَ عَلَىٰ فِرَاقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ ٱلْفِرَاقُ إِلَى ٱلْحَشْرِ ؟!

● ثُمَّ يَرْجِعُ ٱلْبَاحِثُ إِلَىٰ بَيْتِ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَيَدْنُو أَكْثَرَ وَيَقْتَرِبُ ؛ لِيَنْقُلَ لَنَا آخِرَ ٱلْأَخْبَارِ ٱلنَّبَوِيَّةِ آنَذَاكَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْعَوْدَةُ **ٱلْمَطْلَبَ ٱلْخَامِسَ** مِنَ ٱلدِّرَاسَةِ .

● **أَمَّا ٱلْمَطْلَبُ ٱلسَّادِسُ** : فَقَدْ كَانَ لِآخِرِ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ بِٱلْمُسْلِمِينَ ، وَوَصِيَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِٱلصَّلَاةِ خَيْرًا .

● وَجَاءَ ٱحْتِضَارُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي **ٱلْمَطْلَبِ ٱلسَّابِعِ** ، وَفِيهِ وَصَايَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱحْتِضَارِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، يَغَصُّ بِذِكْرِهَا ٱلذَّاكِرُونَ ، وَيَشْهَقُ مِنْ لَوْعَتِهَا ٱلْمُحِبُّونَ .

● ثُمَّ يَرِدُ **ٱلْمَطْلَبُ ٱلثَّامِنُ** يَهْمِسُ فِي قُلُوبِنَا آخِرَ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلْخَاتِمَةِ ، مِثْلَ ٱخْتِيَارِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ ، فَتَكُونُ آخِرَ مَا يُسْمَعُ مِنْ حَنِينٍ .

● وَٱخْتَارَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ ، كَمَا أَفَادَتْ أَحَادِيثُ **ٱلْمَطْلَبِ ٱلتَّاسِعِ** ، وَتَعَجَّلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلرَّحِيلَ ، مُسْتَوْدِعًا ٱللهَ تَعَالَى ٱلإِسْلَامَ وَٱلأُمَّةَ .

● وَتُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ **ٱلْمَطْلَبُ ٱلْعَاشِرُ** لِبَيَانِ أَثَرِ ٱلْوَفَاةِ عَلَى ٱلأَصْحَابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ، وَكَيْفَ عَقِرَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَبِمَ خَطَبَ ٱلنَّاسَ حِينَهَا ، وَكَيْفَ كَانَتِ ٱلرَّوَاسِي ٱلْجِبَالُ مَوَاقِفُ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَقَدِ ٱهْتَزَّتِ ٱلأَرْضُ ، وَمَادَتْ بِٱلنَّاسِ أَطْرَافُهَا ، غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَـٰئِكَ ٱلنَّاسِ .

● ثُمَّ تَحَدَّثَ ٱلْبَاحِثُ فِي **ٱلْمَطْلَبِ ٱلْحَادِي عَشَرَ** عَنْ غُسْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَفَنِهِ ، وَٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَدَفْنِهِ وَإِجْنَانِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وَبَيَّنَ حَيْرَةَ ٱلصَّحَابَةِ فِي ذَٰلِكَ حَتَّىٰ سَمِعُوا هَاتِفًا يَهْتِفُ بِهِمْ ، فَعَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ هُتَافٍ مَضَوْا فِي هَـٰذَا ٱلأَمْرِ وَهُمْ

يَتَثَاقَلُونَ ، لاَ يَتَعَجَّلُونَ دَفْنَهُ وَفِرَاقَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَوَدُّونَ لَوْ أَنَّهُ بَقِيَ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ ٱلَّذِي يَتَوَلَّىٰ غُسْلَهُمْ وَكَفَنَهُمْ وَإِجْنَانَهُمْ .

● ثُمَّ كَانَ **ٱلْمَطْلَبُ ٱلثَّانِي عَشَرَ فِي بُكَاءِ ٱلصَّحَابَةِ كُلَّمَا تَذَكَّرُوا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ** .

شَكَوْتُ إِلَىٰ قَلْبِي ٱلْفِرَاقَ فَقَالَ لِي

مِنَ ٱلآنَ فَٱيْئَسْ لاَ أَغُرُّكَ بِٱلصَّبْرِ

فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَوَفَاةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَثٌ عَظِيمٌ ، لاَ يَأْتِي عَلَىٰ فُؤَادٍ إِلاَّ أَتَىٰ عَلَيْهِ ، وَٱهْتَزَّ وَوَجِلَ ، وَتَذَكَّرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَعَجَّلَ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ حَتَّىٰ يَلْقَى ٱلأَحِبَّةَ ؛ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ .

فَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا كُلَّمَا ذَكَرَهُ ٱلذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ ٱلْغَافِلُونَ ، وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ فِي ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخِرِينَ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ وَأَزْكَىٰ مَا صَلَّىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَزَكَّانَا وَإِيَّاكُمْ بِٱلصَّلاَةِ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مَا زَكَّىٰ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ بِصَلاَتِهِ عَلَيْهِ .

وَٱلسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، وَجَزَاهُ ٱللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا

جَزَىٰ مُرْسَلاً عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّىٰ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(١) .

وَكَتَبَهُ

نِزَارُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلرَّيَّانُ

فِلَسْطِينُ ٱلْمُغْتَصَبَةُ ، غَزَّةُ ، مُعَسْكَرُ جَبَالْيَا

شَوَّالُ (١٤١٧ هـ)

وَتَمَّتْ مُرَاجَعَتُهُ فِي رَبِيعِ ٱلآخِرِ (١٤٢٨هـ)

---

(١) هَـٰذَا ٱلنَّصُّ قَبَسٌ مِنْ كَلَامِ ٱلإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ « ٱلرِّسَالَةُ » (ص١٦ـ١٧) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

أَوَّلاً : ٱلأَمَارَاتُ ٱلدَّالَّةُ عَلَى ٱقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَتَابَعَتِ ٱلأَمَارَاتُ ٱلدَّالَّةُ عَلَىٰ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَتِ ٱلآيَاتُ ٱلْقُرْآنِيَّةُ وَاضِحَةً صَرِيحَةً تَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1] تَسْمَعُهَا فِي لَيْلِ ٱلْعَابِدِينَ مَزَامِيرَ ، تُرَتِّلُهَا ثُغُورُ ٱلذَّاكِرِينَ ٱللهَ كَثِيرًا وَٱلذَّاكِرَاتِ ، وَتَتَرَسَّلُ بِهَا فِي ٱلْعَلَنِ وَٱلْخَلَوَاتِ ، لَكِنَّ ٱلصَّحَابَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَكُونُ ؛ فَلَقَدْ جُبِلَتِ ٱلْقُلُوبُ عَلَى ٱلتَّعَلُّقِ بِٱلْمَحْبُوبِ ، فَكَيْفَ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

لَـٰكِنَّهُ طَالَ ٱلزَّمَانُ بَيْنَ نُزُولِ ٱلآيَةِ بِمَكَّةَ وَوَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّىٰ لَقَدْ غَابَتْ وَنَظِيرَتُهَا عَنْ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللهُ

---

(١) سُورَةُ ٱلزُّمَرِ ، ٱلآيَةُ : (٣٠) .

تَعالَىٰ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا تلاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ . . كأَنَّها تَتَنزَّلُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

● ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١) .

وَفِي حَجَّةِ ٱلْوَدَاعِ يَكْثُرُ تَذْكِيرُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُرْمَةِ ٱلدِّمَاءِ وَٱلأَعْرَاضِ وَٱلأَمْوَالِ ، حَتَّىٰ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا :

١ـ (فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَىٰ أُمَّتِهِ ، فَلْيُبْلِغِ ٱلشَّاهِدُ ٱلْغَائِبَ ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)(٢) .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، ٱلآيَةُ (١٤٤) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ٱلْبُخَارِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٩٤هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٥٦هـ) ٱلطَّبْعَةُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ ، إِصْدَارُ دَارِ طَوْقِ ٱلنَّجَاةِ بِإِشْرَافِ د . مُحَمَّدِ بْنِ زُهَيْرٍ ٱلنَّاصِرِ ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ فِي مُجَلَّدَاتٍ أَرْبَعَةٍ ، كِتَابُ ٱلْحَجِّ ، بَابُ ٱلْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنَىً (٢/١٧٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (١٧٣٩) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ » .

ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1] فَأَدْرَكَ مِنْهَا بَعْضُ ٱلصَّحَابَةِ أَنَّهَا أَجَلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢ـ فَقَدْ رَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يُدْنِي ٱبْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَوْمًا : إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ ، فَقَالَ : (إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ) ، فَسَأَلَ عُمَرُ ٱبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا يَوْمًا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلآيَةِ : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[2] فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُما : أَجَلُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَعْلَمُ)[3] .

وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : (نُعِيَتْ لِرَسُولِ ٱللهِ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ)[4] .

---

(١) سُورَةُ ٱلنَّصْرِ ، ٱلآيَةُ (١) .

(٢) سُورَةُ ٱلنَّصْرِ ، ٱلآيَةُ : (١) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٤٤٣٠) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرِ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلْكَبِيرُ » سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلطَّبَرَانِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٢٦٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٦٠هـ) تَحْقِيقُ ٱلشَّيْخِ حَمْدِي بْنِ عَبْدِ ٱلْمَجِيدِ =

٣ـ وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : « سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ : جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي ، إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾(١) .

وَرَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : « سُبْحَانَكَ

= ٱلسَّلَفِيِّ ، خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءًا فِي عَشَرَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَبَعْضُ أَجْزَائِهِ مَفْقُودٌ (١١/٣٢٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (١١٩٠٣) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلْكَبِيرُ » .

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ النَّيسَابُورِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٢٠٦ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٦١ هـ) مَطْبُوعٌ فِي خَمْسَةِ مُجَلَّدَاتٍ بِتَحْقِيقِ : مُحَمَّدِ فُؤَادِ عَبْدِ البَاقِي ، (مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٢٩٩ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٨٨هـ) نَشْرُ وَتَوْزِيعُ رِئَاسَةِ إِدَارَةِ البُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالإِفْتَاءِ وَالدَّعْوَةِ وَالإِرْشَادِ بِالسُّعُودِيَّةِ سَنَةَ (١٩٨٠م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٣٥٠) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٨٤) ، وَالآيَاتُ مِنْ سُورَةِ النَّصْرِ .

ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ: « إِنِّي أُمِرْتُ بِأَمْرٍ » فَقَرَأَ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[1] .

وَمِنَ ٱلْأَمَارَاتِ ٱلدَّالَّةِ عَلَى ٱقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَقَعَ مِنْ مُعَارَضَةِ جِبْرِيلَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ فِي آخِرِ رَمَضَانٍ شَهِدَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤ـ تَقُولُ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَسَرَّ لِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِٱلْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي ٱلْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي »[2] .

وَمِنْ تِلْكَ ٱلْأَمَارَاتِ مَا وَقَعَ مِنْ تَتَابُعِ نُزُولِ ٱلْقُرْآنِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ رَوَى ٱلْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ :

٥ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلْأَوْسَطُ » سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلطَّبَرَانِيُّ ، دَارُ ٱلْحَرَمَيْنِ بِٱلْقَاهِرَةِ سَنَةَ (١٤١٦هـ) تَحْقِيقُ طَارِقِ بْنِ عَوَضِ ٱللهِ وَعَبْدِ ٱلْمُحْسِنِ ٱلْحُسَيْنِيِّ ، عَشَرَةُ مُجَلَّدَاتٍ (٥/ ٨٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٤٧٣٤) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلْأَوْسَطُ » وَ« ٱلْمُعْجَمُ ٱلصَّغِيرُ » (ص ١١٥) ، دَارُ ٱلْفِكْرِ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلصَّغِيرُ » .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلاَمَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ فِي ٱلْإِسْلاَمِ (٤/ ٢٠٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٣٦٢٤) .

تَابَعَ عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ ٱلْوَحْيُ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ)(١) .

وَلِذَلِكَ بَدَأَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَيِّىءُ أَصْحَابَهُ لِهَـٰذِهِ ٱللَّحَظَاتِ ٱلشِّدَادِ ؛ لِئَلاَّ تَفْجَأَهُمُ ٱلْوَاقِعَةُ ، وَتُصِيبَهُمُ ٱلصَّدْمَةُ بِمَكْرُوهٍ .

٦ـ فَقَالَ لَهُمُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ ٱلْوَدَاعِ : « لَعَلِّي لاَ أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَـٰذَا »(٢) .

فَمَا عَاشَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ حَجَّةِ ٱلْوَدَاعِ إِلاَّ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ لَيْلَةً .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلْقُرْآنِ ، بَابُ كَيْفَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ (٦/ ١٨٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٤٩٨٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ، أَنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى ٱلتِّرْمِذِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٢٠٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٩٧هـ) خَمْسَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، دَارُ إِحْيَاءِ ٱلتُّرَاثِ ٱلْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتُ ، بِدُونِ تَارِيخٍ ، تَحْقِيقُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣٠٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٧٧هـ) (٣/ ٢٣٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٨٨٦) ، قَالَ ٱلتِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » .

وَحِينَ يَأْتِي ٱبْنُ جُرَيْجٍ عَلَىٰ هَـٰذِهِ ٱلآيَةِ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ . . يَقُولُ : « مَكَثَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ هَـٰذِهِ ٱلآيَةُ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ لَيْلَةً »(١) .

* * *

---

(١) سُورَةُ ٱلْمَائِدَةِ ، ٱلآيَةُ (٣) وَٱلْخَبَرُ أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ ٱلْحَجَّاجِ ٱلْمَرْوَزِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ (٢٠٢هـ) وَتُوُفِّيَ سَنَةَ (٢٩٤هـ) فِي كِتَابِهِ : « تَعْظِيمُ قَدْرِ ٱلصَّلَاةِ » (١/ ٣٥٥) تَحْقِيقُ د . عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ ٱلْفَرْيَوَائِيِّ ، وَتُكْسَرُ ٱلْفَاءُ أَيْضًا ، مَكْتَبَةُ ٱلدَّارِ بِٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ سَنَةَ (١٤٠٦هـ) ، جُزْآنِ ، بِلَفْظٍ مُقَارِبٍ . وَ« جَامِعُ ٱلْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ ٱلْقُرْآنِ » (٦/ ١٠٦) لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ ٱلطَّبَرِيِّ ، وُلِدَ سَنَةَ (٢٢٤هـ) وَتُوُفِّيَ سَنَةَ (٣١٠هـ) تَحْقِيقُ صِدْقِي بْنِ جَمِيلٍ ٱلْعَطَّارِ ، دَارُ ٱلْفِكْرِ ، سَنَةَ (١٤١٥هـ) (٣٠) جُزْءًا ، وَسَيُشَارُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : « تَفْسِيرُ ٱلطَّبَرِيِّ » وَٱللَّفْظُ لَهُ .

ثَانِيًا : تَلَطُّفُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِ أَصْحَابِهِ بِحُضُورِ أَجَلِهِ

وَيَدْنُو أَجَلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقْتَرِبُ ، فَيُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ ، وَكَانُوا كُلَّمَا سَمِعُوا مِنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ . . أَجْهَشُوا بِٱلْبُكَاءِ ، وَٱخْتَنَقُوا بِٱلْعَبَرَاتِ ، وَسُمِعَ لِصُدُورِهِمْ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ ٱلْمَرَاجِلِ تَغْلِي بِٱلْحَنِينِ وَٱلأَنِينِ وَٱلْخَنِينِ .

٧ـ فَعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنْبَهَنِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقَالَ : « يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ ٱلْبَقِيعِ » فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ طَوِيلاً ، ثُمَّ قَالَ : « لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ ٱلنَّاسُ ، أَقْبَلَتِ ٱلْفِتَنُ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا ، ٱلآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ ٱلأُولَىٰ ، يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ

ٱلْجَنَّةَ ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَٰلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَٱلْجَنَّةِ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ فَخُذْ مَفَاتِيحَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ ٱلْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « وَٱللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ لَقَدِ ٱخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَٱلْجَنَّةَ » .

ثُمَّ ٱنْصَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ . . ٱبْتُدِئَ بِوَجَعِهِ ٱلَّذِي قَبَضَهُ ٱللهُ فِيهِ[1] .

يَا حَبَّذَا ٱلْجَنَّةُ وَٱقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ فِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ مِنْ تَذْكِيرِهِمْ وَوَصِيَّتِهِمْ بِدِينِهِمْ خَيْرًا .

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « دَلَائِلُ ٱلنُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ صَاحِبِ ٱلشَّرِيعَةِ » (٧/ ١٦٢) لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْبَيْهَقِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٣٨٤هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٤٥٨هـ) تَحْقِيقُ د . عَبْدِ ٱلْمُعْطِي قَلْعَجِيِّ ، دَارُ ٱلرَّيَّانِ (١٩٨٨م) سَبْعَةُ مُجَلَّدَاتٍ (٧/ ١٦٢) . وَ« مُسْنَدُ ٱلدَّارِمِيِّ » لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلدَّارِمِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٨١هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٢٥هـ) فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، دَارُ ٱلْمُغْنِي ، بِٱلرِّيَاضِ ، وَدَارُ ٱبْنِ حَزْمٍ بِبَيْرُوتَ ، ٱلطَّبْعَةُ ٱلْأُولَىٰ سَنَةَ (١٤٢١هـ) تَحْقِيقُ : حُسَيْنِ بْنِ سَلِيمٍ أَسَدِ ٱلدَّارَانِيِّ (١/ ٢١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٧٩) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْنَدُ ٱلدَّارِمِيِّ » .

٨ـ رَوَىٰ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْيَمَنِ . . خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ . . قَالَ : « يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّكَ عَسَىٰ أَلاَّ تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَـٰذَا ، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَـٰذَا ، أَوْ قَبْرِي » فَبَكَىٰ مُعَاذٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١) .

فَكَأَنِّي بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَطَّفُ بِإِخْبَارِهِمْ ؛ لِيُوَدِّعَهُمْ بِتِلْكَ ٱلْوَصَايَا .

٩ـ فَقَدْ رَوَى ٱلْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا ٱلْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا ٱلْقُلُوبُ ،

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٦٤هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٤١هـ) ٱلْمَطْبَعَةُ ٱلْمَيْمَنِيَّةُ فِي سِتَّةِ مُجَلَّدَاتٍ ، بِلاَ تَأْرِيخٍ (٥/ ٢٣٥) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » . وَٱلْجَشَعُ : ٱلْجَزَعُ لِفِرَاقِ ٱلإِلْفِ ، ٱنْظُرْ : « لِسَانُ ٱلْعَرَبِ » لِلإِمَامِ أَبِي ٱلْفَضْلِ جَمَالِ ٱلدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكَرَّمٍ ٱبْنِ مَنْظُورٍ ٱلإِفْرِيقِيِّ ٱلْمِصْرِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٦٣٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٧١١هـ) ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَىٰ سَنَةَ (٢٠٠٠م) دَارُ صَادِرٍ بِبَيْرُوتَ (٣/ ١٥١) .

فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ كَأَنَّ هَـٰذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَـا ؟ فَقَـالَ صَلَّـى ٱللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَ : « أُوصِيكُـمْ بِتَقْـوَى ٱللهِ ، وَٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي . . فَسَيَرَى ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْمَهْدِيِّينَ ٱلرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِٱلنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْـدَثَـاتِ ٱلأُمُـورِ ؛ فَـإِنَّ كُـلَّ مُحْـدَثَـةٍ بِـدْعَـةٌ ، وَكُـلَّ بِـدْعَـةٍ ضَلَالَةٌ »[1] .

إِذًا فَقَدْ أَدْرَكُوا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ عِظَمَ ٱلنَّكْمَةِ ٱلْفَادِحَةِ ، إِنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، وَإِنَّهُ أَجَلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوحِي بِهِ إِلَيْهِمْ ، وَيُهَوِّنُهُ عَلَيْهِمْ ، عَلِمُوا ذَٰلِكَ مِنْ طَرِيقَتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي ٱلْوَصِيَّةِ إِلَيْهِمْ ، وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْبَلِيغَةِ لَهُمْ ؛ وَلِذَا كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَىٰ لِقَائِهِ ، وَكَثْرَةِ مُجَالَسَتِهِ ، كَمَا رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » سُلَيْمَانُ بْنُ ٱلأَشْعَثِ ٱلسِّجِسْتَانِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٢٠٢هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٧٥هـ) (٤/٢٠٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٤٦٠٧) ، كِتَابُ ٱلسُّنَّةِ ، بَابٌ فِي لُزُومِ ٱلسُّنَّةِ ، تَحْقِيقُ : مُحْيِي ٱلدِّينِ عَبْدِ ٱلْحَمِيدِ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣١٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٩٢هـ) طُبِعَ بِدَارِ إِحْيَاءِ ٱلسُّنَّةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ، أَرْبَعَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » .

١٠ـ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ ؛ لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلاَ يَرَانِي ، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ »(١) .

قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ مُعَقِّبًا : (مَقْصُودُ ٱلْحَدِيثِ : حَثُّهُمْ عَلَىٰ مُلاَزَمَةِ مَجْلِسِهِ ٱلْكَرِيمِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(٢) .

وَيَرْوِي أَبُو سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا آخَرَ يُبَيِّنُ فِيهِ طَرِيقَةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَهْيِئَةِ أَصْحَابِهِ لِخَبَرِ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ قَالَ :

١١ـ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى ٱلْمِنْبَرِ فَقَالَ : « عَبْدٌ خَيَّرَهُ ٱللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ ٱلدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَٱخْتَارَ مَا عِنْدَهُ » .

فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَبَكَىٰ فَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ :

---

(١) « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » كِتَابُ ٱلْفَضَائِلِ ، بَابُ فَضْلِ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤/ ١٨٣٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٣٦٤) .

(٢) ٱلْمِنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ ٱلْحَجَّاجِ ، لأَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَىٰ بْنِ شَرَفِ ٱلدِّينِ ٱلنَّوَوِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٦٣١هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٦٧٦هـ) مَطْبُوعٌ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ جُزْءًا فِي تِسْعَةِ مُجَلَّدَاتٍ بِدُونِ تَحْقِيقٍ بِدَارِ ٱلْفِكْرِ ، بِبَيْرُوتَ سَنَةَ : (١٩٧٨م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « ٱلْمِنْهَاجُ لِلنَّوَوِيِّ » (١٥/ ١٨٨) .

فَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ ٱلْمُخَيَّرُ[١] ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ[٢] ، رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

قَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ : (وَكَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ فَهِمَ ٱلرَّمْزَ ٱلَّذِي أَشَارَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرِينَةِ ذِكْرِهِ لِذَلِكَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ، فَٱسْتَشْعَرَ مِنْهُ أَنَّهُ أَرَادَ نَفْسَهُ ؛ فَلِذَلِكَ بَكَىٰ)[٣] .

ثُمَّ يَخْرُجُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزِيَارَةِ قُبُورِ ٱلشُّهَدَاءِ فِي أُحُدٍ كَأَنَّهُ يُوَدِّعُ ٱلْأَحْيَاءَ وَٱلْأَمْوَاتَ .

١٢ـ فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : صَلَّىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ قَتْلَىٰ أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَٱلْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَٱلْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ ٱلْمِنْبَرَ فَقَالَ : « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ ٱلْحَوْضُ ، وَإِنِّي

---

(١) رِوَايَةُ مُسْلِمٍ « ٱلْمُخَيَّرُ » بِٱلرَّفْعِ ، وَرِوَايَةُ ٱلْبُخَارِيِّ بِٱلنَّصْبِ .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابٌ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ (٤/ ١٨٥٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٢٣٨٢) .

(٣) فَتْحُ ٱلْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ ، لِلْحَافِظِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَجَرٍ ٱلْعَسْقَلَانِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٧٧٣هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٨٥٢هـ) ٱلطَّبْعَةُ ٱلسَّلَفِيَّةُ ، تَحْقِيقُ ٱلشَّيْخِ : عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣٣٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٤٢٠هـ) فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا (٧/ ١٢) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « فَتْحُ ٱلْبَارِي » .

لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَـٰذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَـٰكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ ٱلدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا » .

قَالَ : فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] .

ثُمَّ يَدْخُلُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ أَعْرَاضُ ٱلشَّكْوَىٰ مِنْ مَرَضِهِ ٱلَّذِي قُبِضَ فِيهِ .

١٣ـ فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : (أَوَّلُ مَا ٱشْتَكَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَٱشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّىٰ أُغْمِيَ عَلَيْهِ)[2] صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ أَوْرَدَ مُسْلِمٌ ٱلْحَدِيثَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا نَحْوَهُ[3] .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران : ١٢١] (٥/ ٩٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٤٠٤٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٤٣٨) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلصَّلاَةِ ، بَابُ ٱسْتِخْلاَفِ ٱلإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِٱلنَّاسِ (١/ ٣١٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤١٨) ٱلْمُتَابَعَةُ رَقْمُ : (٩١) .

وَيُبَيِّنُ ٱلْحَدِيثُ ٱلآتِي كَيْفَ ٱشْتَدَّ ٱلْمَرَضُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ ٱلْمُدَّةَ ، وَكَيْفَ حَاوَلَ نِسَاؤُهُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُنَّ أَنْ يُمَرِّضْنَهُ ، أَوْ يُخَفِّفْنَ عَنْهُ شِدَّةَ ٱلْمَرَضِ .

١٤ـ تَقُولُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَٱشْتَدَّ مَرَضُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَتَشَاوَرَ نِسَاؤُهُ فِي لَدِّهِ فَلَدُّوهُ(١) .

فَلَمَّا أَفَاقَ . . قَالَ : « هَـٰذَا فِعْلُ نِسَاءٍ جِئْنَ مِنْ هَـٰؤُلَاءِ » وَأَشَارَ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ فِيهِنَّ(٢) ، قَالُوا :

---

(١) ٱللَّدُّ وَٱللَّدُودُ : مَا يُسْقَاهُ ٱلْمَرِيضُ فِي أَحَدِ شِقَّيِ ٱلْفَمِ ، ٱنْظُرِ : « ٱلنِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ ٱلْحَدِيثِ وَٱلأَثَرِ » لِابْنِ ٱلأَثِيرِ ٱلْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلْجَزَرِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (٥٤٤هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٦٠٦هـ) خَمْسَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، حَقَّقَهُ : طَاهِرُ أَحْمَدَ ٱلزَّاوِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (١٣٠٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤٠٦هـ) بِطَرَابُلُسَ ٱلْغَرْبِ ، وَمَحْمُودُ مُحَمَّدٍ ٱلطَّنَاحِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (١٣٥٣) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤١٩هـ) طُبِعَ بِٱلْمَكْتَبَةِ ٱلْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتَ بِدُونِ تَارِيخٍ (٤/ ٢٤٥) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « ٱلنِّهَايَةُ فِي ٱلْغَرِيبِ » .

(٢) هَاجَرَتِ ٱلْهِجْرَتَيْنِ ، ٱنْظُرْ تَرْجَمَتَهَا فِي « أُسْدُ ٱلْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلصَّحَابَةِ » لِعِزِّ ٱلدِّينِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلْجَزَرِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (٥٥٥هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٦٣٠هـ) سِتَّةُ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبَعَتْهُ دَارُ ٱلْفِكْرِ بِبَيْرُوتَ سَنَةَ (١٩٨٩م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « أُسْدُ ٱلْغَابَةِ » (٦/ ١٤) .

كُنَّا نَتَّهِمُ بِكَ ذَاتَ ٱلْجَنْبِ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقْذِفَنِي بِهِ ، لاَ يَبْقَىٰ فِي ٱلْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ ٱلْتَدَّ »[1] .

وَأَوْرَدَ ٱلْبُخَارِيُّ ٱلْخَبَرَ بِرِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

١٥ـ قَالَتْ : لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا : أَلاَّ تَلُدُّونِي ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةُ[2] ٱلْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي ؟! » قُلْنَا : كَرَاهِيَةَ ٱلْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ فِي ٱلْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلاَّ ٱلْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ »[3] .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُصَنَّفُ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ » لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ ٱلصَّنْعَانِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (١٢٦هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٢١١هـ) حَقَّقَهُ : حَبِيبُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلأَعْظَمِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (١٣١٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤١٢هـ) طُبِعَ بِبَيْرُوتَ ، ٱلْمَكْتَبُ ٱلإِسْلاَمِيُّ ، سَنَةَ : (١٩٧٢م) ، فِي أَحَدَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُصَنَّفُ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ » (٥/٤٢٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

(٢) بِٱلنَّصْبِ فِي نُسْخَةِ أَبِي ذَرٍّ ٱلْهَرَوِيِّ عَنْ شُيُوخِهِ ٱلثَّلاَثَةِ ، وَبِٱلرَّفْعِ فِي سَائِرِ ٱلنُّسَخِ .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلطِّبِّ ، بَابُ ٱللَّدُودِ ، (٧/١٢٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٧١٢) قَالَ ٱلْحَافِظُ فِي ٱلْفَتْحِ (٨/١٤٧) : (قِيلَ : فِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ ٱلْقِصَاصِ فِي جَمِيعِ مَا يُصَابُ بِهِ ٱلإِنْسَانُ عَمْدًا ، وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ ٱلْجَمِيعَ لَمْ يَتَعَاطَوْا =

وَتَرْوِي عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا شَكْوَىٰ أُخْرَىٰ بَدَتْ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ جَنَازَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ .

١٦ـ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : رَجَعَ إِلَيَّ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ مِنَ ٱلْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا ، وَأَنَا أَقُولُ : وَارَأْسَاهُ ، قَالَ : « بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ » قَالَ : « وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ ؟ » فَقُلْتُ : لَكَأَنِّي بِكَ وَٱللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ . . لَرَجَعْتَ إِلَىٰ بَيْتِي ، فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ ، قَالَتْ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بُدِىءَ فِي وَجَعِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ(١) .

= ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُمْ ؛ لِتَرْكِهِمُ ٱمْتِثَالَ نَهْيِهِ عَنْ ذَلِكَ) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ ٱلدَّارِمِيِّ » (١/ ٢١٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٨١) ، وَرَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَهْ أَبُو عَبْدِ ٱللَّـهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ٱلْقَزْوِينِيُّ مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (٢٠٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٢٧٣هـ) حَقَّقَهُ : مُحَمَّدُ فُؤَادِ عَبْدِ ٱلْبَاقِي ، طَبْعَةُ عِيسَى ٱلْبَابِيُّ ٱلْحَلَبِيُّ ، غَيْرَ مُؤَرَّخٍ ، نَحْوَ حَدِيثِ ٱلدَّارِمِيِّ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ ٱلرَّجُلِ ٱمْرَأَتَهُ وَغَسْلِ ٱلْمَرْأَةِ زَوْجَهَا (١/ ٤٧٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٥) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » ، وَمِنْ طَرِيقِهِ عَنْعَنَهُ ٱبْنُ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِٱلسَّمَاعِ فِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى ٱلْمَوْصِلِيِّ ؛ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ=

أَمَّا مَرَضُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِدَّتُهُ . . فَإِلَيْكَ حَدِيثَ عَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ وَٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ جَمِيعًا .

١٧ـ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ ٱلْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(١) .

أَمَّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ . . فَقَدْ بَيَّنَ بَعْضَ مَا كَانَ يُعَانِيهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آلَامٍ .

١٨ـ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ ٱللِّحَافِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ! قَالَ : «إِنَّا كَذَٰلِكَ ؛ يُضَعَّفُ لَنَا ٱلْبَلَاءُ ، وَيُضَعَّفُ لَنَا ٱلأَجْرُ»(٢) .

= ٱلْمُثَنَّى ٱلتَّمِيمِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (٢١٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٣٠٧هـ) حَقَّقَهُ : حُسَيْنُ بْنُ سَلِيمٍ أَسَدٍ ٱلدَّارَانِيُّ ، طَبَعَتْهَا دَارُ ٱلْمَأْمُونِ لِلتُّرَاثِ ، دِمَشْقُ ، بِتَارِيخِ : (١٤٠٤هـ) ، قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ : (حَدَّثَنِي ٱلزُّهْرِيُّ) (٨/ ٢٢٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٥٧٩) ، وَأَصْلُ ٱلْحَدِيثِ بِأَلْفَاظٍ مُقَارِبَةٍ فِي صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ (٧/ ١١٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٦٦٦) .

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَرْضَىٰ ، بَابُ شِدَّةِ ٱلْمَرَضِ (٧/ ١١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٦٤٦) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » (٢/ ١٣٣٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٠٢٤) .

١٩ـ قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (أَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا)[١] .

وَيَزْدَادُ ٱلْمَرَضُ عَلَىٰ حَبِيبِنَا ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَثْقُلُ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَىٰ يَوْمِهِ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا وَيَسْأَلُ عَنْهُ ، كَمَا تُفِيدُ ٱلأَحَادِيثُ فِي ٱلْمَطْلَبِ ٱلآتِي .

* * *

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَرْضَىٰ ، بَابُ شِدَّةِ ٱلْمَرَضِ (٧/١١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٦٤٧) .

ثَالِثًا : تَمْرِيضُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ وَتَطَلُّعُهُ إِلَىٰ بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا

٢٠ـ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ : « أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ » يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا حَتَّىٰ مَاتَ عِنْدَهَا(١) .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ : بَيَانُ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلَّتِي ٱسْتَأْذَنَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا نِسَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا: إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى ٱلنِّسَاءِ فِي مَرَضِهِ فَٱجْتَمَعْنَ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

بَيْنَكُنَّ ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَّ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ . . فَعَلْتُنَّ » فَأَذِنَّ لَهُ(١) .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (فَمَاتَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي ، فَقَبَضَهُ ٱللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي ، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢) .

وَتَصِفُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي صُورَةٍ مُؤْلِمَةٍ حَزِينَةٍ كَيْفَ نُقِلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِ مَيْمُونَةَ إِلَىٰ بَيْتِهَا فَتَقُولُ :

٢١ـ (لَمَّا ثَقُلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ . . ٱسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ ، فَخَرَجَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي ٱلْأَرْضِ)(٣) .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : عَنْ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » كِتَابُ ٱلنِّكَاحِ ، بَابٌ فِي ٱلْقَسْمِ بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ (٢/٢٤٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢١٣٧) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْوُضُوءِ ، بَابُ ٱلْغُسْلِ وَٱلْوُضُوءِ فِي ٱلْمِخْضَبِ وَٱلْقَدَحِ وَٱلْخَشَبِ وَٱلْحِجَارَةِ (١/٥٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٩٨) .

رَضِيَ ٱللهُ تعَالَىٰ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ : (أَوَّلُ مَا ٱشْتَكَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَٱسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا ، وَأَذِنَّ لَهُ ، قَالَتْ : فَخَرَجَ وَيَدٌ لَهُ عَلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَيَدٌ لَهُ عَلَىٰ رَجُلٍ آخَرَ وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي ٱلأَرْضِ)[1] .

قَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ : (لِأَنَّ ٱلْمَرِيضَ يَجِدُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ ٱلأُنْسِ مَا لاَ يَجِدُ عِنْدَ بَعْضٍ)[2] .

فَبَيَّنَ ٱلْحَدِيثُ تَعَبَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّىٰ لاَ يَقْوَىٰ عَلَى ٱلْمَشْيِ بَيْنَ بُيُوتِهِ وَأَزْوَاجِهِ .

وَبَدَأَ أَزْوَاجُهُ فِي تَمْرِيضِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُطَبِّبْنَهُ وَٱلْمُسْلِمُونَ ، وَهُمْ مُشْفِقُونَ مِنْ لَظَى ٱلْفِرَاقِ ٱلْحَمِيمِ .

وَكَانَ مِنْ دَأْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ وَيَرْقِيَهَا ، وَيَمْسَحَ بِيَدِهِ ٱلشَّرِيفَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا بَيَّنَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ :

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلصَّلاَةِ ، بَابُ ٱسْتِخْلاَفِ ٱلإِمَامِ (١/٣١١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤١٨) .

(٢) فَتْحُ ٱلْبَارِي (٣/٢٥٦) .

٢٢ـ (إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي ٱلْمَرَضِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ . . كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا)[1] .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ : (إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ٱشْتَكَىٰ . . يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ)[2] فِي كُلِّ مَرَضٍ وَشَكْوَىٰ .

فَكَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَقْوَىٰ حَتَّىٰ عَلَى ٱلْقِرَاءَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلشَّرِيفَةِ حِينَئِذٍ .

وَفِي تَمْرِيضِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْوِي عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ٱلْخَبَرَ ٱلآتِيَ كَمَا يَرْوِيهِ عَنْهَا عُرْوَةُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ قَالَ :

٢٣ـ وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَٱشْتَدَّ وَجَعُهُ : « هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى ٱلنَّاسِ » .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلطِّبِّ ، بَابُ ٱلرُّقَىٰ بِٱلْقُرْآنِ (٧/ ١٣١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٧٣٥) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلْقُرْآنِ ، بَابُ فَضْلِ ٱلْمُعَوِّذَاتِ (٦/ ١٩٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٠١٦) .

قَالَتْ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْقِرَبِ حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ : أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ .

قَالَتْ : ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلنَّاسِ فَصَلَّىٰ بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ[1] .

فَمَاذَا كَانَتْ تِلْكَ ٱلْكَلِمَاتُ فِي هَـٰذِهِ ٱلدَّقَائِقِ ٱلْغَالِيَاتِ ٱلَّتِي يَرْتَقِي فِيهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعَزَّ مِنْبَرٍ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِلْمَرَّةِ ٱلأَخِيرَةِ ٱلْخَاتِمَةِ ؟

* * *

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلطِّبِّ ، بَابُ ٱللَّدُودِ (٧/١٢٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٧١٤) .
وَٱلْوِكَاءُ : ٱلْخَيْطُ ٱلَّذِي تُشَدُّ بِهِ ٱلصُّرَّةُ وَٱلْكِيسُ وَٱلأَسْقِيَةُ وَنَحْوُهَا ، عَنِ « ٱللِّسَانِ » بِتَصَرُّفٍ ، ٱنْظُرْ : مَادَّةَ : (وَكَيَ) . قَالَ ٱلْبَاحِثُ : وَٱلْمَقْصُودُ بِهِ وَٱللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ : سَبْعُ قِرَبٍ مَلآنَةٍ ، مَحْفُوظَةٍ بِأَوْكِيَتِهِنَّ لَمْ تُسْتَعْمَلْ ، وَوَجْهُ ذَلِكَ : أَنْ يَكُونَ ٱلْمَاءُ كَثِيرًا نَظِيفًا ؛ رَجَاءَ أَنْ يُطْفِيءَ مَا بِهِ مِنْ حُمَّىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي .

رَابِعًا : آخِرُ ٱلْخُطَبِ ٱلنَّبَوِيَّةِ

يَقُولُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا :

٢٤ـ خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ عَلَى ٱلْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ ٱلأَنْصَارُ حَتَّىٰ يَكُونُوا فِي ٱلنَّاسِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْمِلْحِ فِي ٱلطَّعَامِ ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ . . فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١) .

٢٥ـ وَيَرْوِي أَبُو سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حَدِيثًا فِيهِ جُزْءٌ مِنْ خُطْبَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَذَاكَ ، قَالَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : خَطَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّاسَ وَقَالَ :

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ فِي ٱلإِسْلَامِ (٤/ ٢٠٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٢٨) .

« إِنَّ ٱللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَٱخْتَارَ ذَلِكَ ٱلْعَبْدُ مَا عِنْدَ ٱللهِ » قَالَ : فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ! فَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ ٱلْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَعْلَمَنَا .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ : « إِنَّ أَمَنَّ ٱلنَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي . . لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَـٰكِنْ أُخُوَّةُ ٱلإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي ٱلْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ »(١) .

قَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي صَبِّ ٱلْقِرَبِ ٱلسَّبْعِ : (إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِي مَرَضِهِ . . . فَذَكَرَ ٱلْحَدِيثَ وَقَالَ فِيهِ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً . . لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ »)(٢) رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ وَأَنْتَ تَبْكِي صَاحِبَكَ يَوْمَ وَضَعَ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ ، بَابُ قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سُدُّوا ٱلأَبْوَابَ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (٥/ ٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٥٤) .

(٢) فَتْحُ ٱلْبَارِي : (٨/ ١٤٢) .

ٱبْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَبْكِيهِ يَوْمَ ٱلْغَارِ ، وَتَلْتَزِمُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَتُؤَازِرُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتُرَافِقُهُ فِي ٱلْخَنْدَقِ ، وَتُصَاحِبُهُ فِي تَبُوكَ ، وَتَمْضِي مَعَهُ فِي كُلِّ مُهِمَّةٍ وَمُلِمَّةٍ .

كَيْفَ لاَ يَبْكِيهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَقَدِ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ خَبَرُ ٱلسَّمَاءِ ؟! بَلْ كَيْفَ لاَ تَبْكِيهِ ٱلْعُيُونُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ ؟!

أَسْتَـــوْدِعُ ٱللهَ مَـــنْ بِـــٱلْبَيْـــنِ وَدَّعَنِـــي
يَـــوْمَ ٱلْفِـــرَاقِ وَدَمْـــعُ ٱلْعَيْـــنِ سَـــاكِبَـــةٌ

وَهَلْ فِرَاقٌ كَفِرَاقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

* * *

خَامِسًا : آخِرُ ٱلأَيَّامِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا

ثُمَّ يَعُودُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بَيْتِهِ ، وَيُحَدِّثُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهُ يَجِدُ سُمَّ تِلْكَ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْيَهُودِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ .

٢٦ـ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ : « يَا عَائِشَةُ ؛ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ ٱلطَّعَامِ ٱلَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ ، فَهَـٰذَا أَوَانُ وَجَدْتُ ٱنْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَٰلِكَ ٱلسُّمِّ »[1] .

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، ٱنْظُرْ : « ٱلْمُسْتَدْرَكُ عَلَى ٱلصَّحِيحَيْنِ » لِلْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ ٱلْحَاكِمِ ٱلنَّيْسَابُورِيِّ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ: (٣٢١هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ: (٤٠٥هـ) دَارُ ٱلْكُتُبِ ٱلْعِلْمِيَّةِ، خَمْسَةُ مُجَلَّدَاتٍ، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَىٰ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ عَطَا، ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَىٰ سَنَةَ: (١٤١١هـ)، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » (٣/ ٦٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ: (٤٣٩٣) . وَرَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » مُعَلَّقًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، كِتَابُ ٱلدِّيَاتِ ، بَابٌ فِيمَنْ سَقَىٰ رَجُلاً سُماً أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيُقَادُ مِنْهُ ؛ رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ: (٤٥١٢) .

قَالَ ٱبْنُ حَجرٍ : وَعَاشَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلاَثَ سِنِينَ حَتَّىٰ كَانَ وَجَعُهُ ٱلَّذِي قُبِضَ فِيهِ وَجَعَلَ يَقُولُ : « مَا زِلْتُ أَجِدُ أَلَمَ ٱلأَكْلَةِ ٱلَّتِي أَكَلْتُهَا بِخَيْبَر عِدَادًا حَتَّىٰ كَانَ هَـٰذَا أَوَانُ ٱنْقِطَاعِ أَبْهَرِي » عِرْقٌ فِي ٱلظَّهْرِ .

وَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا ، كَمَا أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

٢٧ـ (وَذَلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ ٱتَّخَذَهُ نَبِيًّا ، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا)(١) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢٨ـ ثُمَّ تَدْخُلُ أُمُّ مُبَشِّرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فَتَقُولُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ ؟ فَإِنِّي لاَ أَتَّهِمُ إِلاَّ ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ ، وَكَانَ ٱبْنُهَا مَاتَ قَبْلَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « وَأَنَا لاَ أَتَّهِمُ غَيْرَهُ ، هَـٰذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي »(٢) .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « ٱلطَّبَقَاتُ ٱلْكُبْرَىٰ » لِمُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ ٱلْوَاقِدِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ : (١٦٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٢٣٠هـ) ثَمَانِيَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبَعَتْهُ دَارُ ٱلْكُتُبِ ٱلْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتَ سَنَةَ : (١٩٧٥م) ، وَحَقَّقَهُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ عَطَا ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « طَبَقَاتُ ٱبْنِ سَعْدٍ » (٢/ ١٥٥) وَ« مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (١/ ٣٣١) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » كِتَابُ ٱلدِّيَاتِ ،=

وَيَشْتَدُّ ٱلْوَجَعُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَرْوِي عَائِشَةُ وَٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ .

٢٩ـ قَالاَ : (لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَإِذَا ٱغْتَمَّ . . كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ)[١] .

وَتَدْخُلُ ٱلْحَبِيبَةُ ٱلْغَالِيَةُ فَاطِمَةُ ٱلزَّهْرَاءُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَكْثَرُ ٱلْخَلْقِ مُصَابًا بِٱلنَّبِيِّ ٱلْحَبِيبِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا :

٣٠ـ (دَعَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ٱبْنَتَهُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي شَكْوَاهُ ٱلَّذِي قُبِضَ فِيهِ ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَٰلِكَ فَقَالَتْ : سَارَّنِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ)[٢] .

= بَابُ فِيمَنْ سَقَىٰ رَجُلاً سُمّاً أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيُقَادُ مِنْهُ (٤/ ١٧٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٥١٣) .

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلصَّلاَةِ ، بَابٌ (١/ ٩٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٣٥) و(٤٣٦) بِلَفْظِهِمَا .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلاَمَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ (٤/ ٢٠٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٢٤) .

وَتَضْحَكُ فَاطِمَةُ حِينَ تُدْرِكُ أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ ، تَضْحَكُ لِتُعَلِّمَنَا أَنَّ ٱلْمَوْتَ أَحْلَىٰ مِنَ ٱلْحَيَاةِ بِلاَ صُحْبَةِ ٱلرِّسَالَةِ وَٱلرَّسُولِ .

٣١ـ وَيَصِفُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَيَّامَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلأَخِيرَةَ فِي خُرُوجِهِ لِلصَّلاَةِ فَيَقُولُ : (خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ أُسَامَةَ ، مُرْتَدِيًا ثَوْبَ قُطْنٍ قَدْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ ، فَصَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ)(١) .

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٣/ ٢٣٩) .

سَادِسًا : آخِرُ ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلْوَصِيَّةُ بِٱلصَّلَاةِ

وَيَخْرُجُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِٱلْمُسْلِمِينَ صَلَاتَهُ ٱلأَخِيرَةَ ، إِنَّهَا آخِرُ صَلَاةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْمُسْلِمِينَ ، وَآخِرُ آيَاتٍ تُتْلَىٰ بِصَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا تَرْوِيهَا أُمُّ ٱلْفَضْلِ بِنْتُ ٱلْحَارِثِ .

٣٢ـ قَالَتْ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (سَمِعْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي ٱلْمَغْرِبِ بِـ« ٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » ، ثُمَّ مَا صَلَّىٰ لَنَا بَعْدَهَا حَتَّىٰ قَبَضَهُ ٱللهُ)(١) .

كَانَتْ تِلْكَ صَلَاتَهُ ٱلأَخِيرَةَ بِٱلْمُسْلِمِينَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ٱلتِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ ٱلْفَضْلِ وَصْفُ حَالَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ، قَالَتْ : (خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسَهُ فِي مَرَضِهِ ،

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٩/٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٢٩) .

فَصَلَّى ٱلْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِـ« ٱلْمُرْسَلاَتِ » فَمَا صَلاَّهَا بَعْدُ حَتَّىٰ لَقِيَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ)[1] .

وَيَثْقُلُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَهُمُّهُ أَمْرُ صَلاَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ .

٣٣ـ قَالَ عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُتْبَةَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فَقُلْتُ : أَلاَ تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : بَلَىٰ ، ثَقُلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَصَلَّى ٱلنَّاسُ ؟ » .

قُلْنَا : لاَ ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضَعُوا لِي مَاءً فِي ٱلْمِخْضَبِ » .

قَالَتْ : فَفَعَلْنَا ، فَٱغْتَسَلَ ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَصَلَّى ٱلنَّاسُ ؟ » .

قُلْنَا : لاَ ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ : « ضَعُوا لِي مَاءً فِي ٱلْمِخْضَبِ » .

قَالَتْ : فَقَعَدَ فَٱغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « أَصَلَّى ٱلنَّاسُ ؟ » .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلصَّلاَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلْقِرَاءَةِ فِي ٱلْمَغْرِبِ (٢/ ١١٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٠٨) .

قُلْنَا : لاَ ، هُمْ يَنتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ، فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي ٱلْمِخْضَبِ».

فَقَعَدَ فَٱغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « أَصَلَّى ٱلنَّاسُ ؟ ».

فَقُلْنَا : لاَ ، هُمْ يَنتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ .

وَٱلنَّاسُ عُكُوفٌ فِي ٱلْمَسْجِدِ يَنتَظِرُونَ ٱلنَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ لِصَلاَةِ ٱلْعِشَاءِ ٱلآخِرَةِ ، فَأَرْسَلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِٱلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ ٱلرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِٱلنَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا : يَا عُمَرُ ؛ صَلِّ بِٱلنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَٰلِكَ ، فَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ ٱلأَيَّامَ[١] .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَحَضَرَتِ ٱلصَّلاَةُ فَأُذِّنَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ (١/ ١٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٧) .

فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ؛ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ . . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِٱلنَّاسِ ، وَأَعَادَ ، فَأَعَادُوا لَهُ ، فَأَعَادَ ٱلثَّالِثَةَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى(١) .

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ بَيَانُ ٱلْقَائِلِ ٱلْمُبْهَمِ :

٣٤ـ مَرِضَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَٱشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ . . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِٱلنَّاسِ(٢) .

٣٥ـ وَيَرْوِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَعْضَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي تِلْكَ ٱلْفَتْرَةِ مِنْ أَخْبَارِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ : (إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي ٱلصَّلَاةِ . . فَكَشَفَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ ٱلْحُجْرَةِ يَنْظُرُ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ ٱلْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ ٱلْجَمَاعَةَ (١/ ١٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٧) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْأَذَانِ ، بَابٌ : ٱلرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِٱلْإِمَامِ وَيَأْتَمُّ ٱلنَّاسُ بِٱلْمَأْمُومِ (١/ ١٤٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٧١٣) .

إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ ٱلْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ ٱلصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى ٱلصَّلَاةِ[1] (فَكَادَ ٱلنَّاسُ أَنْ يَضْطَرِبُوا)[2] ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ، وَأَرْخَى ٱلسِّتْرَ)[3] .

٣٦ـ وَفِي رِوَايَةِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَشَفَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلسِّتَارَةَ وَٱلنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فَقَالَ : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ إِلاَّ ٱلرُّؤْيَا ٱلصَّالِحَةُ يَرَاهَا ٱلْمُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ ، أَلَا

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابٌ : أَهْلُ ٱلعِلْمِ وَٱلْفَضْلِ أَحَقُّ بِٱلإِمَامَةِ (١/ ١٣٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٠) ، وَمُصَنَّفُ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ (٥/ ٤٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

(٢) ٱلزِّيَادَةُ صَحِيحَةٌ مِنْ كِتَابِ « ٱلشَّمَائِلِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ » لِلتِّرْمِذِيِّ ، (ص٣٢٧) طَبْعَتُهُ مُؤَسَّسَةُ ٱلْكُتُبِ ٱلثَّقَافِيَّةِ بِبَيْرُوتَ ، تَحْقِيقُ : سَيِّدِ عَبَّاسٍ ٱلْجَلِيمِيِّ ، وَسَيُشَارُ لَهُ حَيْثُ يَرِدُ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٨٦) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابٌ : أَهْلُ ٱلعِلْمِ وَٱلْفَضْلِ أَحَقُّ بِٱلإِمَامَةِ (١/ ١٣٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٠) ، وَ«مُصَنَّفُ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ» (٥/ ٤٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ ٱلْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، فَأَمَّا ٱلرُّكُوعُ . . فَعَظِّمُوا فِيهِ ٱلرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا ٱلسُّجُودُ . . فَٱجْتَهِدُوا فِي ٱلدُّعَاءِ ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »(١) .

٣٧ـ وَتُحَدِّثُنَا عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا عَنْ صَلاَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ ٱلْفَتْرَةَ فَتَقُولُ : (وَٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مَا تَرَكَهُمَا حَتَّىٰ لَقِيَ ٱللهَ ، وَمَا لَقِيَ ٱللهَ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ ثَقُلَ عَنِ ٱلصَّلاَةِ ، وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا مِنْ صَلاَتِهِ قَاعِدًا ؛ تَعْنِي : ٱلرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ ، وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيهِمَا ، وَلاَ يُصَلِّيهِمَا فِي ٱلْمَسْجِدِ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُثَقِّلَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ ، وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ)(٢) .

وَبَيَّنَتْ رِوَايَةٌ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ صَلَّىٰ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ جَالِسًا .

قَالَتْ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (فَوَجَدَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلصَّلاَةِ ، بَابُ ٱلنَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ فِي ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ (١/٣٤٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٧٩) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ مَوَاقِيتِ ٱلصَّلاَةِ ، بَابُ مَا يُصَلَّىٰ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ مِنَ ٱلْفَوَائِتِ وَنَحْوِهَا (١/١٢١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٩٠) .

تَخُطَّانِ مِنَ ٱلْوَجَعِ)[١] (فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّ ٱلنَّاسَ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ . . ٱسْتَأْخَرَ)[٢] (فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ مَكَانَكَ .

ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِهِ)[٣] (حِذَاءَ أَبِي بَكْرٍ) .

(فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ)[٤] .

* * *

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ ٱلْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ ٱلْجَمَاعَةَ (١/ ١٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٤) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ مَنْ قَامَ إِلَىٰ جَنْبِ ٱلإِمَامِ لِعِلَّةٍ (١/ ١٣٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٣) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ ٱلْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ ٱلْجَمَاعَةَ (١/ ١٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٤) .

(٤) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ مَنْ قَامَ إِلَىٰ جَنْبِ ٱلإِمَامِ لِعِلَّةٍ (١/ ١٣٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٨٣) .

سابعًا : ٱحْتِضَارُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ

أَدْرَكَ ٱلصَّحَابَةُ أَنَّهَا أَحَرُّ ٱللَّحظَاتِ وَآخِرُهَا ، فَهَـٰذَا ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يُكَلِّمُ عَلِيّاً أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْشَكَ عَلَى ٱلْوَفَاةِ .

٣٨ـ رَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ : يَا أَبَا حَسَنٍ ؛ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ ٱللهِ بَارِئًا ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَٱللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ ٱلْعَصَا(١) ، وَإِنِّي وَٱللهِ لأَرَىٰ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ

---

(١) قَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ فِي « ٱلْفَتْحِ » (١٤٣/٨) : (كِنَايَةٌ عَمَّنْ يَصِيرُ تَابِعًا لِغَيْرِهِ ، وَٱلْمَعْنَىٰ : أَنَّهُ يَمُوتُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَتَصِيرُ أَنْتَ مَأْمُورًا عَلَيْكَ ، وَهَـٰذَا مِنْ قُوَّةِ فِرَاسَةِ ٱلْعَبَّاسِ) .

قَالَ ٱلْبَاحِثُ : وَمَا خَفِيَ ٱلأَمْرُ عَلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، لَـٰكِنَّهُ ٱلتَّعَلُّقُ=

يُتَوَفَّىٰ مِنْ وَجَعِهِ هَـٰذَا ، إِنِّي لأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ ، ٱذْهَبْ بِنَا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْنَسْأَلْهُ : فِيمَنْ هَـٰذَا ٱلأَمْرُ ؟ إِنْ كَانَ فِينَا . . عَلِمْنَا ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا . . عَلِمْنَاهُ ، فَأَوْصَىٰ بِنَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : إِنَّا وَٱللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَنَاهَا . . لاَ يُعْطِينَاهَا ٱلنَّاسُ بَعْدَهُ ، وَإِنِّي وَٱللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

وَيَدْخُلُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَقُلَ حَتَّىٰ لاَ يَقْوَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْكَلاَمِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا :

٣٩ـ (دَخَلَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطِنِي هَـٰذَا ٱلسِّوَاكَ يَا عَبْدَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ، فَأَعْطَانِيهِ ،

= بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلرَّجَاءُ فِي بَقَائِهِ بَيْنَهُمْ ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ ٱللهِ بَارِئًا .

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٤٧) .

فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَٱسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ صَدْرِي)(١) .

وَتُبَيِّنُ ٱلرِّوَايَةُ ٱلأُخْرَىٰ كَيْفَ كَانَ حَالُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاكَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَبِيَدِهِ ٱلسِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ ٱلسِّوَاكَ ، فَقُلْتُ : آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ)(٢) .

فَظَهَرَ ٱلنَّزْعُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ لِلصَّحَابَةِ كِتَابًا لاَ يَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا .

٤٠ـ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : لَمَّا حُضِرَ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٤٩) .

رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي ٱلْبَيْتِ رِجَالٌ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ » .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَهُ ٱلْوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ ٱلْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ ٱللهِ ، فَٱخْتَلَفَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَٱخْتَصَمُوا ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا ٱللَّغْوَ وَٱلاخْتِلاَفَ . قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قُومُوا »[1] .

وَوَقَعَتْ قِصَّةُ ٱلْكِتَابِ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ قَبْلَ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، كَمَا أَفَادَتْ رِوَايَةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ ؟! ٱشْتَدَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ : « ٱئْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا »[2] .

٤١ـ وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ وَمَا

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٩/٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٣٢) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْجِهَادِ ، بَابٌ : هَلْ يُسْتَشْفَعُ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ (٦٩/٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٠٥٣) .

يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ ؟! ثُمَّ بَكَىٰ حَتَّىٰ خَضَبَ دَمْعُهُ ٱلْحَصْبَاءَ ، فَقَالَ : ٱشْتَدَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ، فَقَالَ : « ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا » .

فَتَنَازَعُوا ، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ ، فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « دَعُونِي ، فَٱلَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ » .

وَأَوْصَىٰ عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلاثٍ : « أَخْرِجُوا ٱلْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا ٱلْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ » وَنَسِيتُ ٱلثَّالِثَةَ[1] .

٤٢- وَرَوَىٰ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : هَلْ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَىٰ ؟

فَقَالَ : لاَ .

فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلْوَصِيَّةُ ؟ أَوْ أُمِرُوا بِٱلْوَصِيَّةِ ؟

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْجِهَادِ ، بَابٌ : هَلْ يُسْتَشْفَعُ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ (٤/ ٦٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٠٥٣) .

قَالَ : أَوْصَىٰ بِكِتَابِ ٱللهِ[1] .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا تَرَىٰ رَأْيَ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ أَوْصَىٰ بِشَيْءٍ خَاصٍّ .

٤٣ـ عَنِ ٱلْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ كَانَ وَصِيّاً ، فَقَالَتْ : (مَتَىٰ أَوْصَىٰ إِلَيْهِ وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَىٰ صَدْرِي ، أَوْ قَالَتْ : حَجْرِي ؟! فَدَعَا بِٱلطَّسْتِ ، فَلَقَدِ ٱنْخَنَثَ[2] فِي حَجْرِي فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَمَتَىٰ أَوْصَىٰ إِلَيْهِ ؟!)[3] .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ ٱللَّحَظَاتِ ٱلصِّعَابِ يُعَانِي ٱلنَّزْعَ ٱلشَّدِيدَ ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ وَٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْوَصَايَا ، بَابُ ٱلْوَصَايَا وَقَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَصِيَّةُ ٱلرَّجُلِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » (٣/٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٧٤٠) .

(٢) ٱنْخَنَثَ : ٱنْكَسَرَ وَٱنْثَنَىٰ ؛ لِاسْتِرْخَاءِ أَعْضَائِهِ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ ، ٱنْظُرْ : « ٱلنِّهَايَةَ فِي ٱلْغَرِيبِ » (١٥٨/٢) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْوَصَايَا ، بَابُ ٱلْوَصَايَا وَقَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَصِيَّةُ ٱلرَّجُلِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » (٣/٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٧٤١) .

٤٤ـ عَنْ عَائِشَةَ وَٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ قَالاَ : لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَإِذَا ٱغْتَمَّ . . كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، وَهُوَ كَذَٰلِكَ يَقُولُ : « لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ ؛ ٱتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[١] .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (لَوْلاَ ذَٰلِكَ . . لأُبْرِزَ قَبْرُهُ ؛ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا)[٢] .

وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَدْ عَقَدَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوَاءَ غَزْوِ ٱلشَّامِ ، فَلَمَّا وُعِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . تَرَيَّثَ أُسَامَةُ بِٱلْجَيْشِ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ ، يَقُولُ أُسَامَةُ :

٤٥ـ (لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . هَبَطْتُ وَهَبَطَ ٱلنَّاسُ ٱلْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦ / ١١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٤٣) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦ / ١١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٤١) .

أَصْمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَجَعَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي)(١) .

٤٦ـ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ : « ٱلصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّىٰ مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ(٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ : « ٱلصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »(٣) .

٤٧ـ وَيَرْوِي ذَكْوَانُ مَوْلَىٰ عَائِشَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي ٱلْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ ، بَابُ مَنَاقِبِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا (٥/ ٦٧٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٨١٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٣/ ١١٧) وَرَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَهْ وَٱللَّفْظُ لَهُ ، كِتَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ مَرَضِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٥١٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٢٥) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْوَصَايَا ، بَابٌ : هَلْ أَوْصَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢/ ٩٠٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٦٩٧) .

وَجْهَهُ وَيَقُولُ : « لاَ إِلَـهَ إِلاَّ ٱللهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ » ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : « فِي ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ » حَتَّىٰ قُبِضَ ، وَمَالَتْ يَدُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] .

وَمِمَّا أَوْصَىٰ بِهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ أُمَّتَهُ : مَا رَوَاهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

٤٨ـ لَمَّا حَضَرَتِ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْوَفَاةُ . . قَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَوْصِنَا ، قَالَ : « أُوصِيكُمْ بِٱلسَّابِقِينَ ٱلأَوَّلِينَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ، وَبِأَبْنَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، إِلاَّ تَفْعَلُوهُ . . لاَ يُقْبَلُ مِنْكُمْ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ »[٢] .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلرِّقَاقِ ، بَابُ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ (٨/١٠٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٥١٠) ، وَقَالَ ٱلْبُخَارِيُّ مُعَقِّبًا : (ٱلْعُلْبَةُ : مِنَ ٱلْخَشَبِ ، وَٱلرَّكْوَةُ : مِنَ ٱلأَدَمِ) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ ٱلْبَزَّارِ » شُهْرَتُهُ فِي ٱلْمَطْبُوعِ : « ٱلْبَحْرُ ٱلزَّخَارُ » لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو ٱلْعَتَكِيِّ ٱلْبَزَّارِ ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢١٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٩٢هـ) تِسْعَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، مَكْتَبَةُ ٱلْعُلُومِ وَٱلْحِكَمِ ، ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمُنَوَّرَةُ ، سَنَةَ (١٤٠٩هـ) بِتَحْقِيقِ د . مَحْفُوظِ ٱلرَّحْمَـٰنِ زَيْنِ ٱللهِ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣٦٩هـ) وَوَفَـاتُـهُ سَنَـةَ : (١٤١٨هـ) وَسَيُشَـارُ لَـهُ فِيمَـا بَعْـدُ : « مُسْنَدُ ٱلْبَزَّارِ » : (٣/٢٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٠٢٢) ، وَ« ٱلْمُعْجَمُ ٱلأَوْسَطُ » (١/٢٦٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٨٧٤) .

٤٩ـ وتَرْوِي أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُما كانَ مِنْ آخِرِ ٱلنَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قالَتْ : عُدْنا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَداةً بَعْدَ غَداةٍ ، يَقُولُ : « جاءَ عَلِيٌّ ؟ » مِرارًا .

قالَتْ : وَأَظُنُّهُ كانَ بَعَثَهُ فِي حاجَةٍ ، قالَتْ : فَجاءَ بَعْدُ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ حاجَةً ، فَخَرَجْنا مِنَ ٱلْبَيْتِ ، فَقَعَدْنا عِنْدَ ٱلْبابِ ، فَكُنْتُ مِنْ أَدْناهُمْ إِلَى ٱلْبابِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ ، فَجَعَلَ يُسارُّهُ وَيُناجِيهِ ، ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَكانَ أَقْرَبَ ٱلنَّاسِ بِهِ عَهْدًا[1] .

وَمَعَ ٱشْتِدادِ ٱلْمَرَضِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْكِي فاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْها ، كَما يَرْوِي أَنَسُ بْنُ مالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ .

٥٠ـ قالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ : لَمَّا ثَقُلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) إِسْنادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٣٠٠) ، وَ« مُصَنَّفُ ٱبْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي ٱلأَحادِيثِ وَٱلآثارِ » لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (١٥٩هـ) وَوَفاتُهُ سَنَةَ (٢٣٥هـ) ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ شاهِينَ ، تِسْعَةُ مُجَلَّداتٍ مَعَ فَهارِسِهِ ، طَبْعُ دارِ ٱلْكُتُبِ ٱلْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتَ (١٩٩٥م) (٦/ ٣٦٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٢٠٥٧) ، وَسَيُشارُ لَهُ فِيما بَعْدُ : « مُصَنَّفُ ٱبْنِ أَبِي شَيْبَةَ » .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ : وَاكَرْبَ أَبَاهُ! فَقَالَ لَهَا : « لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ »[1] .

وَتَحَارُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَتَأْتِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينَةً لِمَرَضِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ نَزْعٍ وَقَدْ جَزِعَتْ لِفِرَاقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا يَرْوِي ذُؤَيْبُ بْنُ حَلْحَلَةَ ٱلْخُزَاعِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ[2] .

٥١ـ قَالَ : لَمَّا حُضِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ صَفِيَّةُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ : لِكُلِّ ٱمْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ أَهْلٌ يُلْجَأُ إِلَيْهِمْ وَإِنَّكَ أَجْلَيْتَ أَهْلِي ، فَإِنْ حَدَثَ حَدَثٌ . . فَإِلَىٰ مَنْ ؟ قَالَ : « **إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** »[3] رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

* * *

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ (٦/ ١٥) كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

(٢) ذُؤَيْبُ بْنُ حَلْحَلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كُلَيْبٍ ٱلْخُزَاعِيُّ ٱلْكَعْبِيُّ ٱلصَّحَابِيُّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلْإِصَابَةَ » (٢/ ٤٢٢) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « ٱلْمُعْجَمَ ٱلْكَبِيرَ » (٤/ ٢٣٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٢١٤) .

ثَامِنًا : آخِرُ ٱلْهَمَسَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ

هِيَ آخِرُ ٱلْكَلِمَاتِ وَتَنْقَطِعُ ٱلسَّمَاءُ عَنِ ٱلأَرْضِ ، وَتَمْضِي ٱلْخَلاَئِقُ وَحْدَهَا تُوَاجِهُ ٱلأَحْدَاثَ بِلاَ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ!

فَهَاهِيَ ٱلدُّنْيَا تَعِيشُ هَـٰذِهِ ٱلْحَقِيقَةَ لِلْمَرَّةِ ٱلأُولَىٰ مُنْذُ بَدْءِ ٱلْخَلِيقَةِ ، فَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ تَسُوسُهُمْ وَتَؤُمُّهُمْ ، وَٱلْيَوْمَ جَاءَتِ ٱلرِّسَالَةُ ٱلأَخِيرَةُ وَٱلنَّبِيُّ ٱلْخَاتَمُ فَلاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ[1] ، فَمَاذَا يَفْعَلُ ٱلنَّاسُ ؟!

وَتُدْرِكُ أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ٱلانْقِطَاعُ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بَدَأَ ٱلْفِصَامُ ٱلنَّكِدُ مَا لَمْ يَكُنِ

---

(١) إِشَارَةٌ إِلَىٰ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ ٱلأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ. . خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي » « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » ، كِتَابُ ٱلإِمَارَةِ ، بَابُ وُجُوبِ بَيْعَةِ ٱلْخُلَفَاءِ (٣/ ١٤٧١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٨٤٢) .

ٱلتَّمَسُّكُ بِٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ عِصْمَةً وَوِقَايَةً وَسَبِيلَ ٱلأُمَّةِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلنَّاهِجِ ٱلطَّوِيلِ .

٥٢ـ رَوَىٰ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : (قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ : ٱنْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهَا . . بَكَتْ ، فَقَالاَ لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي أَلاَّ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَـٰكِنْ أَبْكِي أَنَّ ٱلْوَحْيَ قَدِ ٱنْقَطَعَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى ٱلْبُكَاءِ ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا)[١] .

وَلَنَا مَعَ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا لِقَاءَاتٌ ؛ إِذْ هِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ بَيْتِهِ رِوَايَةً لِخَبَرِ وَفَاتِهِ ، وَهِيَ ٱلشَّاهِدَةُ عَلَىٰ آخِرِ ٱلْمَوَاقِفِ وَأَحَرِّهَا ، فَتَقُولُ :

٥٣ـ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ :

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (٤/١٩٠٧) كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابٌ : مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا (٤/١٩٠٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٤٥٤) .

« إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ » .

فَلَمَّا ٱشْتَكَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَضَرَهُ ٱلْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا . . غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ . . شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ ٱلْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ فِي ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا)[١] إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا ، قَالَتْ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ ٱلَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ[٢] .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ قَالَتْ : فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ »[٣] .

---

(١) هَـٰذِهِ ٱللَّفْظَةُ مِنْ صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلرِّقَاقِ ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ ٱللهِ . . أَحَبَّ ٱللهُ لِقَاءَهُ (٨/١٠٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٥٠٩) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٣٧) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا (٤/ ١٨٩٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٤٤٤) ٱلْمُتَابَعَةُ : (٨٧) .

(ٱللَّهُمَّ ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ) آخِرُ ٱلْهَمَسَاتِ ، بَلْ آخِرُ ٱلْكَلِمَاتِ ، إِنَّهَا تَرْسُمُ ٱلطَّرِيقَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مَاضٍ فِي طَرِيقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، إِنَّهَا ٱلْكَلِمَةُ ٱلْفَصْلُ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ٱلعَبْدُ مَعَ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ ، وَإِمَّا أَنْ يَخْتَارَ أَدْنَى ٱلرِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ ٱلضَّلَالِ وَٱلشِّقَاقِ ، وَهَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ؟! إِنَّهُ لَخِذْلٌ غَيْرُ عَدْلٍ!

(ٱللَّهُمَّ ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ) لِيُعَلِّمَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ وَهُوَ فِي أَشَدِّ ٱللَّحَظَاتِ وَأَثْقَلِهَا : أَنَّ ٱلْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ وَتَمَتَّعَ بِهَا ٱلْمَرْءُ إِلَىٰ نِهَايَةٍ ؛ فَلْتَكُنْ مَعَ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ .

(ٱللَّهُمَّ ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ) لِكَيْ يُدْرِكَكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ ؛ عَلَى ٱلدَّرْبِ ٱلسَّهْلِ ٱلرَّفِيقِ ، حَتَّىٰ تَكُونَ بِعَوْنِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] .

٥٤ـ وَمِنْ آخِرِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي هَمَسَ بِهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱحْتِضَارِهِ : مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُغَرْغِرُ

---

(١) سُورَةُ ٱلنِّسَاءِ ، ٱلآيَةُ : (٦٩) .

بِهَا فِي صَدْرِهِ[١] ، وَمَا كَانَ يَفِيصُ[٢] بِهَا لِسَانُهُ : « ٱلصَّلاَةَ ٱلصَّلاَةَ ، ٱتَّقُوا ٱللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »[٣] .

---

(١) غَرْغَرَ يُغَرْغِرُ : أَصْلُهَا أَنْ يُغَرْغِرَ ٱلإِنْسَانُ ٱلْمَاءَ فِي حَلْقِهِ وَلاَ يُسِيغُهُ « جَمْهَرَةُ ٱللُّغَةِ » لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢٢٣هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٢١هـ) ثَلاَثَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، حَقَّقَهُ رَمْزِي ٱلْبَعْلَبَكِّيُّ بِدَارِ ٱلْعِلْمِ لِلْمَلاَيِينِ (١٩٨٧م) (٣/ ١٢٥٦) وَوَجْهُ ٱلْكَلاَمِ : عَدَمُ بُلُوغِ ٱلرُّوحِ ٱلْحُلْقُومَ . « ٱلنِّهَايَةُ فِي ٱلْغَرِيبِ » (٣/ ٣٦٠) .

(٢) قَالَ فِي « شَرْحِ ٱلسُّنَّةِ » (٩/ ٣٥٠) لِلْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ ٱلْبَغَوِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٤٣٦هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٥١٦هـ) سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، بِتَحْقِيقِ شُعَيْبٍ ٱلأَرْنَاؤُوطِ ، طَبَعَهُ ٱلْمَكْتَبُ ٱلإِسْلاَمِيُّ بِبَيْرُوتَ سَنَةَ (١٩٨٣م) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « شَرْحُ ٱلسُّنَّةِ » : (وَمَا يَفِيصُ بِهِ لِسَانُهُ) هُوَ بِٱلصَّادِ غَيْرِ ٱلْمُعْجَمَةِ ؛ يَعْنِي : مَا يُبِينُ كَلاَمَهُ ، يُقَالُ : فُلاَنٌ مَا يَفِيصُ بِكَلِمَةٍ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِبَيَانٍ ، وَفُلاَنٌ ذُو إِفَاصَةٍ ؛ أَيْ : ذُو بَيَانٍ .

قَالَ ٱلْبَاحِثُ : وَقَعَتْ بَعْضُ ٱلرِّوَايَاتِ : « يَفِيصُ » بِٱلصَّادِ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدَ أَحْمَدَ » (٣/ ١١٧) وَ« ٱبْنُ مَاجَهْ » كِتَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ مَرَضِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٥١٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٢٥) وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ بِتَرْتِيبِ ٱبْنِ بَلْبَانَ » لأَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ حِبَّانَ ٱلْبُسْتِيِّ ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢٧٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٥٤هـ) رَتَّبَهُ عَلاَءُ ٱلدِّينِ عَلِيُّ بْنُ بَلْبَانَ ٱلْفَارِسِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٦٧٥هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٧٣٩هـ) ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، تَحْقِيقُ شُعَيْبٍ ٱلأَرْنَاؤُوطِ ، طَبْعُ مُؤَسَّسَةِ ٱلرِّسَالَةِ سَنَةَ (١٩٩٣م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » (١٤/ ٥٧٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٠٥) .

٥٥- وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : إِنَّ مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ ٱللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَبِيَدِهِ ٱلسِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ ٱلسِّوَاكَ ، فَقُلْتُ :آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي ٱلْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ : « لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ »[١] .

إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ ٱلْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٢] .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٤٩) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَرْضَىٰ ، بَابُ شِدَّةِ ٱلْمَرَضِ (٧/ ١١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٥٦٤٦) .

٥٦ـ قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ ٱلَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، اُنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلتَّشْدِيدِ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ (٣/ ٣٠٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٧٩) .

تَاسِعًا : ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

كَانَتْ تِلْكَ ٱلآيَةُ بَعْضَ ٱلْبَشَائِرِ ٱلَّتِي تَحْدُو ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى ٱلدَّارِ ٱلآخِرَةِ وَهُوَ يُوَدِّعُ دَارَ ٱلدُّنْيَا .

٥٧ـ وَيَرْوِي عُبَادَةُ بْنُ ٱلصَّامِتِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ ٱللهِ .. أَحَبَّ ٱللهُ لِقَاءَهُ »(٢) .

٥٨ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ »(٣) .

---

(١) سُورَةُ ٱلْقَصَصِ ، ٱلآيَةُ : (٨٣) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلرِّقَاقِ ، بَابٌ : مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ ٱللهِ .. أَحَبَّ ٱللهُ لِقَاءَهُ (٨/١٠٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٥٠٧) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

٥٩ـ وَعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنْبَهَنِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقَالَ : « يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ ٱلْبَقِيعِ » .

فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَيْنَا ٱلْبَقِيعَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ : « لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ ٱلنَّاسُ ، أَقْبَلَتِ ٱلْفِتَنُ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا ، ٱلآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ ٱلأُولَىٰ ، يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ ٱلْجَنَّةَ ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَٱلْجَنَّةِ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ ٱلْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « وَٱللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ؛ لَقَدِ ٱخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَٱلْجَنَّةَ » .

ثُمَّ ٱنْصَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ . . ٱبْتُدِىءَ بِوَجَعِهِ ٱلَّذِي قَبَضَهُ ٱللهُ فِيهِ(١) .

= وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٣٧) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « دَلَائِلُ ٱلنُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ صَاحِبِ ٱلشَّرِيعَةِ » (٧/ ١٦٢) لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْبَيْهَقِيِّ .

وَيَأْتِي يَوْمُ ٱلإِثْنَيْنِ ، أَثْقَلُ ٱلأَيَّامِ فِي ذَاكِرَةِ ٱلأُمَّةِ عَلَى ٱلأُمَّةِ ، يَوْمَ قُبِضَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ ٱنْتَقَلَ مُخْتَارًا إِلَى ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ .

٦٠ـ وَيَأْتِي يَوْمُ ٱلإِثْنَيْنِ(فَبَيْنَمَا ٱلْمُسْلِمُونَ فِي صَلاَةِ ٱلْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ ٱلإِثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ . . لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ ٱلصَّلاَةِ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ ٱلصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ٱلصَّلاَةِ ، وَهَمَّ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ ؛ فَرَحًا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ **أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ** ، ثُمَّ دَخَلَ ٱلْحُجْرَةَ ، وَأَرْخَى ٱلسِّتْرَ)(١) .

وَأَرْخَى ٱلسِّتْرَ ، فَكَانَتْ آخِرَ ٱبْتِسَامَةٍ يَرَاهَا ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠](٦/ ١٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ :(٤٤٤٨) .

٦١ـ وَكَانَ (آخِرَ يَوْمٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ)[١] كَمَا كَانَتْ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

٦٢ـ (وَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ ٱللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ)[٢] .

٦٣ـ (ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : « فِي ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ » حَتَّىٰ قُبِضَ ، وَمَالَتْ يَدُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٣] (فَمَاتَ)[٤] صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ :(٤٤٥١) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ :(٤٤٥٩) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ :(٤٤٤٩) .

(٤) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ :(٤٤٥٠) .

٦٤ـ وَيَنْتَقِلُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ ، طَابَ حَيّاً وَطَابَ مَيِّتًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١) ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ ٱلإِثْنَيْنِ ، أَكْثَرَ ٱلأَيَّامِ ظُلْمَةً وَشِدَّةً عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٦٥ـ قَالَ : « فَأَيُّ يَوْمٍ هَـٰذَا ؟ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : يَوْمُ ٱلإِثْنَيْنِ ، قَالَ : « أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱللَّيْلِ »(٢) .

وَتَصْمُتُ ٱلدُّنْيَا ، وَيَسْكُنُ ٱلْكَوْنُ ، وَتَهْدَأُ ٱلأَصْوَاتُ ، فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ، هِيَ آخِرُ ٱلنَّظَرَاتِ ، هِيَ آخِرُ ٱلْخَلَجَاتِ ، وَيَمُوتُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَنْقَطِعُ خَبَرُ ٱلسَّمَاءِ .

وَيَنْقَطِعُ خَبَرُ ٱلسَّمَاءِ ، وَيَتَوَقَّفُ جِبْرِيلُ عَنْ أَمْرٍ عَزِيزٍ ، جِدِّ عَزِيزٍ ؛ أَشْرَقَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ ، وَسَعِدَتْ بِهِ ٱلسَّمَاوَاتُ ، إِنَّهُ وَحْيُ ٱلسَّمَاءِ .

وَيَقَعُ ٱلْحَدَثُ ٱلْجَلَلُ بِمَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، مِنْ كَلاَمِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ لَمَّا قَبَّلَ ٱلنَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابُ (٦/٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٦٧) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَوْتِ يَوْمِ ٱلإِثْنَيْنِ (٢/١٠٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٣٨٧) .

وَيَبْكِي ٱلصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ، وَيُسْكَبُ دَمْعُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَيَعْقِرُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَتَصِيرُ ٱلْوَفَاةُ حَقِيقَةً ، وَتَذُوقُ بُيُوتُ ٱلْمَدِينَةِ كُلُّهَا طَعْمَ ٱلْمَوْتِ مُصِيبَةً ، وَيُحَاوِلُ ٱلأَحِبَّةُ دَفْعَ خَبَرِ مَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلاَ يُصَدِّقُونَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

* * *

عَاشِرًا : أَثَرُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ

وَتَصْعَدُ ٱلرُّوحُ ٱلطَّيِّبَةُ إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهَا ، فَلَا تَجِدُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُقْبَضُ رُوحُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، قَالَتْ :

٦٦ـ (فَبَيْنَمَا رَأْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَىٰ مَنْكِبِيَّ إِذْ مَالَ رَأْسُهُ نَحْوَ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ رَأْسِي حَاجَةً ، فَخَرَجَتْ مِنْ فِيهِ نُطْفَةٌ بَارِدَةٌ ، فَوَقَعَتْ عَلَىٰ ثُغْرَةِ نَحْرِي ، فَٱقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَسَجَّيْتُهُ ثَوْبًا)(١) .

٦٧ـ (فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا)(٢) .

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢١٩) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ١٢١) .

هَـٰذِهِ ٱلرُّوحُ ٱلطَّيِّبَةُ ، هَـٰذِهِ ٱلرَّائِحَةُ ٱلزَّكِيَّةُ ، هِيَ رُوحُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[1] .

٦٨ـ (فَقَدْ كَانَ طَيِّبًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2] حَيًّا وَمَيْتًا .

وَتَنْدُبُ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَبَاهَا :

٦٩ـ (يَا أَبَتَاهْ ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهْ ، مَنْ جَنَّةُ ٱلْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ ، إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ!)[3] .

(وَاأَبَتَاهْ ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! وَاأَبَتَاهْ ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ! وَا أَبَتَاهْ ، جَنَّةُ ٱلْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! وَا أَبَتَاهْ ، إِلَىٰ جِبْرَائِيلَ أَنْعَاهُ!)[4] .

وَيَتَسَرَّبُ ٱلنَّدْبُ إِلَى ٱلأَصْحَابِ ، وَيَتَهَامَسُونَ بِهِ ، وَيَدْفَعُونَ

---

(١) ٱلآيَاتُ (٢٧ـ ٣٠) مِنْ سُورَةِ ٱلْفَجْرِ .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٤٧١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » وَٱللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ (١/ ٦٢) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٥٩٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٢٢) .

ٱلْخَبَرَ فَلاَ يُرِيدُونَ تَصْدِيقَهُ ، فَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يَمُوتَ ، وَٱلْخَبَرُ دَسِيسَةُ ٱلْمُنَافِقِينَ ، وَيَجِبُ مُلاَحَقَةُ مَنْ يَزْعُمُ مَوْتَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧٠ـ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (فَجَاءَ عُمَرُ وَٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ، فَٱسْتَأْذَنَا ، فَأَذِنْتُ لَهُمَا ، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ ٱلْحِجَابَ ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَاغَشْيَاهْ ، مَا أَشَدَّ غَشْيَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا دَنَوَا مِنَ ٱلْبَابِ . . قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ : يَا عُمَرُ ، مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(١) .

فَعَائِشَةُ لاَ تُرِيدُ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ ، فَحِينَ يَمِيلُ رَأْسُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ رَأْسِهَا . . يَمِيلُ بَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ رَبَّهُ ، بَعْدَ أَنْ يَهْمِسَ « فِي ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ » وَبَعْدَ أَنْ تُتَمْتِمَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : « إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا »(٢) وَمَعَ وُرُودِ كُلِّ تِلْكَ ٱلْقَرَائِنِ إِلاَّ أَنَّهَا لاَ تُرِيدُ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ .

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢١٩) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا (٤/ ١٨٩٤) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٤٤٤) .

وَيَأْتِي عُمَرُ وَٱلْمُغِيرَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا لِعِيَادَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَيَاهُ مَيِّتًا ، تَدُلُّ كُلُّ ٱلأَمَارَاتِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ، لَـٰكِنَّهُ دَفَعَ تِلْكَ ٱلْفِكْرَةَ ، وَيَتَوَهَّمُ ٱلْغَشْيَ (وَا غَشْيَاهْ ، مَا أَشَدَّ غَشْيَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!) .

وَيُعْلِنُهَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حَرْبًا عَلَىٰ مَنْ يَهْمِسُ بِهَا هَمْسًا ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُعْلِنُ ذَٰلِكَ ؟!

فَحِينَ يَقُولُ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ . . يُوَاجِهُهُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مُنْفَعِلاً بِٱلْعَاصِفَةِ : (كَذَبْتَ ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ(١) فِتْنَةٌ)(٢) .

ثُمَّ يَمْضِي عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَقَدْ أَدْهَشَتْهُ صَدْمَةُ

---

(١) يَدُلُّ أَصْلُ وَضْعِ كَلِمَةِ (حَوْسٍ) عَلَىٰ مُخَالَطَةِ ٱلشَّيْءِ وَوَطْئِهِ « مُعْجَمُ مَقَايِيسِ ٱللُّغَةِ » لِأَبِي ٱلْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٣٢٩ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٩٥هـ) تَحْقِيقُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ هَارُونَ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣٢٧هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٤٠٨ هـ) سِتَّةُ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبْعُ دَارِ ٱلْفِكْرِ بِبَيْرُوتَ ، وَسَيُشَارُ لَهُ بَعْدُ : « مُعْجَمُ مَقَايِيسِ ٱللُّغَةِ » (٢/١١٨) وَمَعْنَىٰ (تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ) : أَنْ تُخَالِطَكَ وَتَحُثَّكَ عَلَىٰ رُكُوبِهَا « ٱلنِّهَايَةُ فِي ٱلْغَرِيبِ » (١/ ٤٦٠) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢١٩) .

ٱلْفِرَاقِ ، وَتَهَامَسَ ٱلنَّاسُ بِمَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا أَسْرَعَ أَنْ قَالَ :

٧١ـ (وَٱللهِ ؛ مَا مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱللهِ ؛ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلاَّ ذَاكَ ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ ٱللهُ ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ)[١] ثُمَّ يَقُولُ :

٧٢ ـ (إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَمُوتُ حَتَّىٰ يُفْنِيَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلْمُنَافِقِينَ)[٢] .

وَيَتَأَوَّلُ عُمَرُ مَا بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَا وَقَعَ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ مِنْ خُرُوجٍ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣] ، فَيَقُولُ :

٧٣ ـ (لاَ أَسْمَعَنَّ أَحَدًا يَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ، إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ ، لَـٰكِنْ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابُ قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً » (٧/٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٧٠) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/٢١٩) .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ ٱلآيَةُ : (٥١) مِنْ سُورَةِ ٱلْبَقَرَةِ .

أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَبُّهُ كَمَا أَرْسَلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ، فَلَبِثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)(١) .

كُلُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ (بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ) ، (فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ) ، (لاَ يَمُوتُ حَتَّىٰ يُفْنِيَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلْمُنَافِقِينَ) ، (أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَبُّهُ كَمَا أَرْسَلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ) .

كُلُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، لَـٰكِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلأَلِيمَةَ .

٧٤ـ فَقَالَ ٱلنَّاسُ : (يَا سَالِمُ ؛ ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَٱدْعُهُ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ أَبْكِي دَهَشًا ، فَلَمَّا رَآنِي . . قَالَ لِي : أَقُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : إِنَّ عُمَرَ يَقُولُ : لاَ أَسْمَعُ أَحَدًا يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ قُبِضَ إِلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَـٰذَا ، فَقَالَ لِي : ٱنْطَلِقْ ، فَٱنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَجَاءَ)(٢) رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٥٨٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٢٠) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص٣٣٨) .

٧٥ـ (حَتَّىٰ نزَلَ فَدَخلَ ٱلْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكلِّمِ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ دَخلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تعالَىٰ عَنْهَا)[١] (وَٱلنَّاسُ قَدْ دَخلُوا عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ أَفْرِجُوا لِي ، فَأَفْرَجُوا لَهُ)[٢] ، (فَتَيَمَّمَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُغشًّىً بِثَوْبِ حِبَرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ)[٣] (حَتَّىٰ أَكَبَّ عَلَيْهِ وَمَسَّهُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٤] ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَىٰ ، ثُمَّ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَٱللهِ لاَ يَجْمَعُ ٱللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ ، أَمَّا ٱلْمَوْتَةُ ٱلَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ . . فَقَدْ مُتَّهَا)[٥] ثُمَّ قَالَ :

٧٦ ـ (إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص٣٣٨) وَٱلآيَةُ (٣٠) مِنْ سُورَةِ ٱلزُّمَرِ .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص٣٣٨) وَٱلآيَةُ (٣٠) مِنْ سُورَةِ ٱلزُّمَرِ .

(٥) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ)[1] (وَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ سَاعِدَيْهِ)[2] وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : (وَا نَبِيَّاهْ ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاصَفِيَّاهْ ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ : وَاخَلِيلَاهْ ، مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ)[3] .

٧٧ـ (وَعُمَرُ يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ، فَقَالَ : ٱجْلِسْ ، فَأَبَىٰ عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَقَالَ : ٱجْلِسْ ، فَأَبَىٰ أَنْ يَجْلِسَ ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ ، فَمَالَ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ ، وَتَرَكُوا عُمَرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ مَنْ كَانَ فِيكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا . فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢٢٠) ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَنْزِلُ لِتَقْبِيلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَمِهِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْفَرَاهِيدِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٠٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٧٤هـ) : ٱلْحَدْرُ : مَا تَحْدِرُهُ مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ ، ٱنْظُرْ : « ٱلْعَيْنُ » (١/ ٢٠٦) تَحْقِيقُ د . مَهْدِي ٱلْمَخْزُومِيِّ ، وَإِبْرَاهِيمَ ٱلسَّامَرَّائِيِّ ، فِي ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ ، طُبِعَ بِدَارِ ٱلْهِلَالِ ، وَقَالَ ٱبْنُ فَارِسٍ : حَدَرْتُ ٱلشَّيْءَ إِذَا أَنْزَلْتَهُ . ٱنْظُرْ : « مُعْجَمُ مَقَايِيسِ ٱللُّغَةِ » (٢/ ٣٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص٣٣٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٩٢) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢٢٠) .

مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ ٱللهَ . . فَإِنَّ ٱللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، قَالَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١) .

٧٨ـ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : وَٱللهِ ؛ لَكَأَنَّ ٱلنَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللهَ جَلَّ وَعَلاَ أَنْزَلَهَا حَتَّىٰ تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلاَّ يَتْلُوهَا .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : وَٱللهِ ؛ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا ، فَعَقِرْتُ حَتَّىٰ مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ ، وَحَتَّىٰ أَهْوَيْتُ إِلَى ٱلأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا . . عَلِمْتُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ)(٢) .

٧٩ـ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلاَّ نَفَعَ ٱللهُ بِهَا ، لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ ٱلنَّاسَ ، وَإِنَّ

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، ٱلآيَةُ : (١٤٤) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٥٨٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٢٠) .

فِيهِمْ لَنِفَاقًا ، فَرَدَّهُمُ ٱللهُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ ٱلنَّاسَ ٱلْهُدَىٰ ، وَعَرَّفَهُمُ ٱلْحَقَّ ٱلَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١) (٢) .

وَصَدَّقَ عُمَرُ سَاعَتَهَا أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

* * *

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، ٱلآيَةُ : (١٤٤) .

(٢) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ ٱلصَّحَابَةِ ، بَابُ قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً » (٧/٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٧٠) .

حَادِيَ عَشَرَ : غُسْلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتكْفِينُهُ وَٱلصَّلاَةُ عَلَيْهِ وَدفْنُهُ

ذَهَلَ ٱلصَّحَابَةُ لِمَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ دَلِيلٌ لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، وَصُدِمُوا لِمَوْتِهِ ، فَٱلْخَبَرُ أَكْبَرُ مِنْ أَكَابِرِهِمْ .

فَهَـٰذَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ لاَ تُقِلُّهُ قَدَمَاهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يَبْكِي ، وَيُعْلِنُ ٱلْحَقِيقَةَ وَحْدَهُ ، وَيَتَحَمَّلُهَا ، وَيَحْمِلُ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا .

مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَتَزْدَحِمُ ٱلأَحْدَاثُ عَلَى ٱلْكِرَامِ ، فَٱلْمَدِينَةُ لاَ زَالَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى ٱلَّذِينَ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ مِمَّنْ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْكُفْرَ ، وَٱلْعَرَبُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَٱلْجَيْشُ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ يَتَجَهَّزُ لِغَزْوِ ٱلشَّامِ ، وَٱلنَّاسُ مَا أَلِفَتِ ٱلْحُكْمَ ، وَمَا ٱعْتَادَتِ ٱلنِّظَامَ ، وَمَا جَرَوْا عَلَىٰ مَذَاهِبِ ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْتَنَّ ٱللهُ عَلَيْهِمْ بِٱلدِّينِ ٱلْجَدِيدِ .

وَدَهِشَ ٱلصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ بِهَـٰذَا ٱلأَمْرِ ٱلْهَائِلِ ، فَٱنْشَغَلُوا فِي جَمْعِ صَفِّ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ يُصَلِّي لَهُمْ صَلاَتَهُمْ ، وَيَقُومُ عَلَىٰ حَاجَاتِهِمْ ، وَيَجْمَعُهُمْ عَلَىٰ قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَٱنْتَهَى ٱلصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ ٱلأَمْرِ ، وَتَوَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ مَصَالِحَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ ٱلْتَفَتُوا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مِنْ أَجْلِ غُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ ، وَٱلصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَدَفْنِهِ ، فَٱلْحَقِيقَةُ ٱلْمُرَّةُ لاَ بُدَّ مِنْ تَجَرُّعِهَا .

وَحَارَ ٱلصَّحَابَةُ فِي أَمْرِ غُسْلِهِ وَدَفْنِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٠ ـ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالُوا : وَٱللهِ ؛ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؟ فَلَمَّا ٱخْتَلَفُوا . . أَلْقَى ٱللهُ عَلَيْهِمُ ٱلنَّوْمَ حَتَّىٰ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ ٱلْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ مَنْ هُوَ : أَنِ ٱغْسِلُوا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ)[1] .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » (٣/١٩٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : =

٨١ـ وَرَوَىٰ سَالِمُ بْنُ عُبَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَمَرَهُمْ أَنْ يُغَسِّلَهُ بَنُو أَبِيهِ[١] .

فَقَامُوا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ ، يَصُبُّونَ ٱلْمَاءَ فَوْقَ ٱلْقَمِيصِ ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِٱلْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ .

٨٢ـ وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا تَقُولُ : (لَوِ ٱسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا ٱسْتَدْبَرْتُ . . مَا غَسَلَهُ إِلاَّ نِسَاؤُهُ)[٢] .

٨٣ـ وَيَرْوِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُ لَمَّا غَسَّلَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يَلْتَمِسُ مِنَ ٱلْمَيِّتِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ : (بِأَبِي ، ٱلطَّيِّبُ ، طِبْتَ حَيّاً ، وَطِبْتَ مَيِّتًا)[٣] .

= (٣١٤١) كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي سَتْرِ ٱلْمَيِّتِ عِنْدَ غُسْلِهِ ، وَفِي إِسْنَادِهِ ٱبْنُ إِسْحَاقَ ٱلإِمَامُ فِي ٱلسِّيَرِ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِٱلسَّمَاعِ .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص : ٣٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » (٣/١٩٦) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣١٤١) كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي سَتْرِ ٱلْمَيِّتِ عِنْدَ غُسْلِهِ ، وَفِي إِسْنَادِهِ ٱبْنُ إِسْحَاقَ ٱلإِمَامُ فِي ٱلسِّيَرِ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِٱلسَّمَاعِ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » وَٱللَّفْظُ لَهُ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا=

وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَفَقَّدَ كَفَنَهُ وَهُوَ يَنْزِعُ .

٨٤ـ فَنَظَرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يُمَرَّضُ فِيهِ بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ : « ٱغْسِلُوا ثَوْبِي هَـٰذَا وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفِّنُونِي فِيهَا » قُلْتُ : إِنَّ هَـٰذَا خَلَقٌ ، قَالَ : « إِنَّ ٱلْحَيَّ أَحَقُّ بِٱلْجَدِيدِ مِنَ ٱلْمَيِّتِ »[1] .

٨٥ـ وَكُفِّنَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبٍ نَجْرَانِيٍّ وَرَيْطَتَيْنِ[2] .

٨٦ـ وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : (كُفِّنَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ

= جَاءَ فِي غُسْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٤٧١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ (١/ ٦٢) .

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَوْتِ يَوْمِ ٱلإِثْنَيْنِ (٢/ ١٠٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٣٨٧) قَالَ فِي ٱلْفَتْحِ (٣/ ٢٥٣) : (ٱلْخَلَقُ : غَيْرُ جَدِيدٍ ، وَرَدْعُ ٱلزَّعْفَرَانِ : زَعْفَرَانٌ لُطِّخَ بِٱلثَّوْبِ لَكِنْ لَمْ يَعُمَّهُ) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانٍ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٥٩٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٣٠) . وَٱلرَّيْطَتَانِ : مُثَنَّى رَيْطَةٍ ، وَهِيَ كُلُّ مَلاَءَةٍ لَيْسَتْ بِلَفْقَيْنِ ، وَقِيلَ : كُلُّ ثَوْبٍ رَقِيقٍ لَيِّنٍ ، وَٱلْجَمْعُ : رِيطٌ ، وَرِيَاطٌ ، ٱنْظُرْ : « ٱلنِّهَايَةُ فِي ٱلْغَرِيبِ » (٢/ ٢٨٩) .

كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ)[١] .

وَأَشْكَلَ عَلَى ٱلنَّاسِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ فِي بُرْدٍ يَمَانِيٍّ ، وَهُوَ ٱلْحُلَّةُ أَوِ ٱلْحِبرَةُ[٢] ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا :

٨٧ ـ (قَدْ أُتِيَ بِٱلْبُرْدِ ، وَلَـٰكِنَّهُمْ رَدُّوهُ وَلَمْ يُكَفِّنُوهُ فِيهِ)[٣] .

٨٨ ـ ثُمَّ (أُدْرِجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ ٱلثِّيَابِ ٱلْبِيضِ لِلْكَفَنِ (٢/ ٧٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٢٦٤) وَ« صَحِيحُ مُسْلِمٍ » وَٱللَّفْظُ لَهُ (٢/ ٦٤٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٤١) . وَٱلسَّحُولِيَّةُ : يُرْوَىٰ بِفَتْحِ ٱلسِّينِ وَضَمِّهَا ؛ فَٱلْفَتْحُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلسَّحُولِ ، وَهُوَ ٱلْقَصَّارُ ؛ لأَنَّهُ يَسْحَلُهَا ؛ أَيْ : يَغْسِلُهَا ، أَوْ إِلَىٰ سَحُولٍ ، قَرْيَةٍ بِٱلْيَمَنِ ، تُحْمَلُ مِنْهَا هَـٰذِهِ ٱلثِّيَابُ ، وَأَمَّا بِٱلضَّمِّ . فَهُوَ جَمْعُ سَحْلٍ ، وَهُوَ ٱلثَّوْبُ ٱلأَبْيَضُ ٱلنَّقِيُّ ، وَلاَ يَكُونُ إِلاَّ مِنْ قُطْنٍ ، وَفِيهِ شُذُوذٌ ؛ لأَنَّهُ نُسِبَ إِلَى ٱلْجَمْعِ ، وَٱلْكُرْسُفُ : ٱلْقُطْنُ . ٱنْظُرْ : « ٱلنِّهَايَةَ فِي ٱلْغَرِيبِ » (٢/ ٣٤٧) وَ« ٱلمِنْهَاجُ » لِلنَّوَوِيِّ (٧/ ٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » (١/ ٤٧٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٩) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣/ ٣٢١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٩٦) وَقَالَ : هَـٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

كَانَتْ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ، ثُمَّ نُزِعَتْ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

٨٩ ـ (فَأَخَذَهَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا فَقَالَ : لأَحْبِسَنَّهَا حَتَّىٰ أُكَفَّنَ فِيهَا نَفْسِي)[2] .

وَلِذَلِكَ ذَكَرُوا لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا مَا ذَكَرُوا فَأَنْكَرَتْهُ وَقَالَتْ :

٩٠ ـ (أَمَّا ٱلْحُلَّةُ . . فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى ٱلنَّاسِ فِيهَا أَنَّهَا ٱشْتُرِيَتْ لَهُ لِيُكَفَّنَ فِيهَا ؛ فَتُرِكَتِ ٱلْحُلَّةُ)[3] .

قَالَ ٱلتِّرْمِذِيُّ : (رُوِيَ فِي كَفَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِوَايَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَصَحُّ ٱلأَحَادِيثِ ٱلَّتِي رُوِيَتْ فِي كَفَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[4] .

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي كَفَنِ ٱلْمَيِّتِ (٢/ ٦٥٠) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٤١) ٱلْمُتَابَعَةُ (٤٦) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي كَفَنِ ٱلْمَيِّتِ (٢/ ٦٤٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٤١) ٱلْمُتَابَعَةُ (٤٥) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي كَفَنِ ٱلْمَيِّتِ (٢/ ٦٤٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٤١) ٱلْمُتَابَعَةُ (٤٥) .

(٤) « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » (٣/ ٣٢٢) .

وَبَدَأَ ٱلنَّاسُ يُجَهِّزُونَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلاَةِ عَلَيْهِ .

إِنَّهَا صَلاَةُ ٱلْوَدَاعِ وَفِي ٱلضَّرِيحِ وَفِي ٱلأَكْفَانِ أَحْزَانُ .

إِنَّهَا صَلاَةُ ٱلْوَدَاعِ وَفِي ٱلْوَدَاعِ وَفِي ٱلإِجْنَانِ أَشْجَانُ .

إِنَّهَا صَلاَةُ ٱلْوَدَاعِ وَإِنَّ ٱلْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلٌ .

إِنَّهَا صَلاَةُ ٱلْوَدَاعِ وَإِنَّهُ ٱلرَّحِيلُ إِلَى ٱلدَّارِ ٱلآخِرَةِ .

إِنَّهَا ٱلأُمَّةُ ٱلثَّكْلَىٰ بِوَفَاةِ نَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنَّهَا صَلاَةُ ٱلْوَدَاعِ ، فَوَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ ٱلْفِرَاقِ مِنْ سَيِّدِ ٱلأَنْبِيَاءِ .

٩١ـ فَقَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَيُصَلَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) . فَقَالُوا : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : (يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ ٱلنَّاسُ)(١) .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص٣٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

٩٢ـ (فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَـٰذَا ٱلْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلآخَرِ)[١] .

(وَصَلَّى ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا لاَ يَؤُمُّهُمْ أَحَدٌ)[٢] .

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ :

(وَأَمَّا صَلاَةُ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا . . فَمُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلسِّيَرِ وَجَمَاعَةِ أَهْلِ ٱلنَّقْلِ لاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ)[٣] .

قَالَ ٱبْنُ كَثِيرٍ : (وَهَـٰذَا ٱلصَّنِيعُ ـ وَهُوَ صَلاَتُهُمْ عَلَيْهِ فُرَادَىٰ لَمْ يَؤُمَّهُمْ أَحَدٌ عَلَيْهِ ـ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لاَ خِلاَفَ فِيهِ)[٤] .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٥/ ٨١) عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم .

(٢) قَالَهُ مَالِكٌ فِي « ٱلْمُوَطَّأ » (١/ ٢٣١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٧) .

(٣) ٱلتَّمْهِيدُ لِمَا فِي ٱلْمُوَطَّإِ مِنَ ٱلْمَعَانِي وَٱلأَسَانِيدِ ، لأَبِي عُمَرَ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلنَّمْرِيِّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٣٦٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٤٦٣هـ) ٱلْمَشْهُورِ : بِٱبْنِ عَبْدِ ٱلْبَرِّ ، (٢٦) جُزْءًا ، تَحْقِيقُ : مُصْطَفَىٰ أَحْمَدَ ٱلْعَلَوِيِّ ، وَحَقَّقَ هَـٰذَا ٱلْجُزْءَ سَعِيدُ أَحْمَدَ أَعْرَابِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٤٢٤هـ) طَبَعَتْهُ ٱلْمَكْتَبَةُ ٱلْمَلَكِيَّةُ بِٱلرِّبَاطِ سَنَةَ (١٩٦٧م) وَسَيُشَارُ لَهُ عِنْدَ وُرُودِهِ : « ٱلتَّمْهِيدُ » (٢٤/ ٣٩٧) .

(٤) ٱلْبِدَايَةُ وَٱلنِّهَايَةُ ، لأَبِي ٱلْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ ٱلْقُرَشِيِّ ٱلدِّمَشْقِيِّ ،مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٧٠١هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ(٧٧٤هـ) طَبَعَتْهُ مَكْتَبَةُ ٱلْمَعَارِفِ بِبَيْرُوتَ فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ جُزْءًا مَجْمُوعَةٍ فِي سَبْعَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَسَيُشَارُ لَهُ عِنْدَ وُرُودِهِ : « البِدَايَةُ وَٱلنِّهَايَةُ » (٥/ ٢٦٥) .

لَقَدْ صَارَ ٱلأَمْرُ حَقِيقَةً كُبْرَىٰ ، مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَهَلْ تُصَدِّقُ أُمَّهَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُنَّ لَنْ يَرَيْنَهُ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ ؟

ٱللَّيْلُ يَكْسُو ٱلْمَدِينَةَ بِٱلْبُكَاءِ وَبِٱلدُّمُوعِ ، تَجْرِي سَوَاكِبُ دَمْعِهَا نَحْوَ ٱللِّحَىٰ ، نَحْوَ ٱلْخُدُودِ .

هَـٰذِي ٱلْفَوَاطِمُ كُلُّهُنَّ وَعَائِشَةُ .

هَـٰذِي ٱلْحَبِيبَةُ بَضْعَةُ ٱلْمُخْتَارِ تَنْدُبُ سَيِّدِي .

هَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ سَجَّتْهُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِحِبَرَةٍ كَفَنِ ٱلْوَدَاعِ .

وَبَضْعَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْكِيهِ ، وَتَنْدُبُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاهَا .

هَا هُنَّ أُمَّهَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَبْكِينَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْحَبِيبَ ٱلْغَالِيَ .

وَنَامَ ٱلصِّبْيَةُ ٱلصِّغَارُ ، وَأَرَّقَتِ ٱلْمَدَامِعُ سَائِرَ ٱلنَّاسِ .

٩٣ـ (قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ ٱللهِ ؛ أَيُدْفَنُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : أَيْنَ ؟ قَالَ : فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي قَبَضَ ٱللهُ فِيهِ رُوحَهُ)(١) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » =

هَا هِيَ ٱلْفُؤُوسُ تَشُقُّهُمَا مَعًا ، وَتَصْدَعُهُمَا مَعًا ؛ قُلُوبَ ٱلصَّالِحِينَ ، وَٱلأَرْضَ ٱلَّتِي تَضُمُّ إِلَيْهَا سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ٱلإِمَامُ مُحَمَّدٌ ٱلْبَاقِرُ : (ٱلَّذِي أَلْحَدَ قَبْرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو طَلْحَةَ)[1] .

٩٤ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : (مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ سَمِعْنَا صَوْتَ ٱلْمَسَاحِي مِنْ جَوْفِ ٱللَّيْلِ لَيْلَةَ ٱلأَرْبِعَاءِ)[2] .

وَٱكْتَسَتِ ٱلْمَدِينَةُ بِٱلْحُزْنِ ٱلْمُعَتَّقِ ، وَتَفَتَّقَتِ ٱلْقُلُوبُ بِٱلأَسَىٰ ، وَٱللَّيْلُ يُقَطِّعُهُ وَقْعُ ٱلْمَسَاحِي وَٱلْكَرَازِينِ .

وَكَانَ وَقْعُ ٱلْمَسَاحِي فِي ٱلْمَوْطِنِ ٱلَّذِي قُبِضَ فِيهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

= (ص ٣٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلْبَاقِرِ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلْوَاحِدِ يُلْقَىٰ تَحْتَ ٱلْمَيِّتِ فِي ٱلْقَبْرِ (٣/ ٣٦٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٠٤٧) وَأَشَارَ إِلَيْهِ ٱلأَلْبَانِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٣٣٣هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٤٢٠هـ) فِي « مُخْتَصَرُ ٱلشَّمَائِلِ » (ص ١٩٨) قَالَ : ٱلَّذِي حَفَرَ ٱلْقَبْرَ هُوَ أَبُو طَلْحَةَ .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/ ٢٧٤) .

وَسَلَّمَ ، كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قَالَ :

٩٥ـ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ ، قَالَ : « مَا قَبَضَ ٱللهُ نَبِيًّا إِلاَّ فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ » ٱدْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ[١] .

٩٦ـ (فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلاَّ فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ)[٢] صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٩٧ـ (وَلُحِدَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْدًا ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ ٱللَّبِنُ نَصْبًا)[٣] .

٩٨ـ (وَجُعِلَ تَحْتَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دُفِنَ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ)[٤] .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ آخَرُ (٣/ ٣٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٠١٨) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ٱلصَّحَابِيِّ ، ٱنْظُرْ : « ٱلشَّمَائِلُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص ٣٣٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَلِيٍّ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٤٧١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٧) وَ« مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » وَٱللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ (١/ ٦٢) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلنَّسَائِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ وَضْعِ ٱلثَّوْبِ فِي ٱللَّحْدِ (٤/ ٨١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٢٠١٢) وَٱللَّفْظُ لَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : (جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ)(١) .

٩٩ـ قَالَ شُقْرَانُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (أَنَا وَٱللهِ طَرَحْتُ ٱلْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْقَبْرِ)(٢) .

١٠٠ـ (وَوُضِعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَحْدِهِ)(٣) .

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا :

١٠١ـ (إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْحِدَ ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ ٱللَّبِنُ نَصْبًا)(٤) .

١٠٢ـ (وَوَلِيَ دَفْنَهُ وَإِجْنَانَهُ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ أَرْبَعَةٌ : عَلِيٌّ ،

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ جَعْلِ ٱلْقَطِيفَةِ فِي ٱلْقَبْرِ (٢/ ٦٦٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ (٩٦٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلْوَاحِدِ يُلْقَىٰ تَحْتَ ٱلْمَيِّتِ فِي ٱلْقَبْرِ (٣/ ٣٦٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٠٤٧) وَقَالَ : حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٥/ ٨١) عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٦٠٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٣٥) .

وَٱلْعَبَّاسُ ، وَٱلْفَضْلُ ، وَصَالِحٌ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

وَصَارَ ٱللَّحْدُ سُنَّةً ، وَٱقْتَدَىٰ بِهِ أَصْحَابُهُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ :

١٠٣ـ (ٱلْحَدُوا لِي لَحْدًا ، وَٱنْصِبُوا عَلَيَّ ٱللَّبِنَ نَصْبًا ، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2] .

وَكَانَ ٱللَّحْدُ وِفْقَ حَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

١٠٤ـ « ٱللَّحْدُ لَنَا ، وَٱلشَّقُّ لِغَيْرِنَا »[3] .

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا :

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٤٧١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » وَٱللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ (١/ ٦٢) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي ٱللَّحْدِ وَنَصْبِ ٱللَّبِنِ عَلَى ٱلْمَيِّتِ (٢/ ٦٦٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٩٦٦) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱللَّحْدُ لَنَا وَٱلشَّقُّ لِغَيْرِنَا » (٣/ ٣٦٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٠٤٥) .

١٠٥ـ (إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْحِدَ ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ ٱللَّبِنُ نَصْبًا)[١] .

١٠٦ـ قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (قَدْ بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ ، قَالُوا : فَٱدْخُلْ فَأَصْلِحْهُ ، فَدَخَلَ ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ : أَهِيلُوا عَلَيَّ ٱلتُّرَابَ ، فَأَهَالُوا عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ حَتَّىٰ بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَكَانَ يَقُولُ : أَنَا أَحْدَثُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٢] .

أَهِيلُوا عَلَيَّ ٱلتُّرَابَ ، أَهِيلُوا عَلَيَّ ٱلتُّرَابَ ، فَكَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جِوَارِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ دُفِنَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دُفِنَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتُصَدِّقُونَ ؟! دُفِنَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَيْفَ طَابَتِ ٱلنُّفُوسُ أَنْ تَحْثُوَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتُّرَابَ ؟!

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانَ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٦٠٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٣٥) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٥/ ٨١) عَنْ حَدِيثِ أَبِي عَسِيبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠٧ـ (وَرُفِعَ قَبْرُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ)(١) .

وَتَحَقَّقَتْ رُؤْيَا عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا ٱلْقَمَرُ ٱلأَوَّلُ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا :

١٠٨ـ (رَأَيْتُ كَأَنَّ ثَلاَثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حُجْرَتِي ، فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنْ تَصْدُقْ رُؤْيَاكِ . . يُدْفَنْ فِي بَيْتِكِ خَيْرُ أَهْلِ ٱلأَرْضِ ثَلاَثَةٌ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَ . . قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : يَا عَائِشَةُ ؛ هَـٰذَا خَيْرُ أَقْمَارِكِ ، وَهُوَ أَحَدُهَا)(٢) .

١٠٩ـ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ :(مَا نَفَضْنَا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلأَيْدِيَ حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا)(٣) .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ، ٱنْظُرْ :« صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانٍ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٦٠٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٣٥) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ :« مُسْتَدْرَكُ ٱلْحَاكِمِ » كِتَابُ ٱلْمَغَازِي وَٱلسَّرَايَا (٣/ ٦٢) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ :« سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ=

وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ :

١١٠ـ (كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا وَجْهُنَا وَاحِدٌ ، لَمَّا قُبِضَ . . نَظَرْنَا هَـٰكَذَا وَهَـٰكَذَا)(١) .

وَيَتَفَقَّدُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَيْتَ فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاءِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، قَالَ :

١١١ـ (فَلَمَّا دَفَنَّاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ فَاطِمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَقَالَتْ : يَا أَنَسُ ؛ أَطَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتُّرَابَ ؟!)(٢) .

وَحَثَوُا ٱلتُّرَابَ أَيَا فَاطِمُ ، وَدُفِنَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَقَعَ ٱلْفِرَاقُ ، وَٱنْفَصَمَتِ ٱلْعُرَىٰ ، وَأَظْلَمَتْ آطَامُ

= صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٥٢٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٣١) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱبْنِ مَاجَهْ » كِتَابُ ٱلْجَنَائِزِ ، بَابُ ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٥٢٣) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٣٣) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « صَحِيحُ ٱبْنِ حِبَّانٍ » كِتَابُ ٱلتَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤/ ٥٩٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٦٢٢) وَٱللَّفْظُ لَهُ ، وَمِثْلُهُ عِنْدَ ٱلْبُخَارِيِّ كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ آخِرِ مَا تَكَلَّمَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦/ ١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

ٱلْمَدِينَةِ ، كَمَا أَخْبَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

١١٢ـ (فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ . . أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ)(١) ، (فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَظْلَمَ وَلاَ أَقْبَحَ مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ)(٢) .

١١٣ـ (وَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ)(٣) وَقِيلَ غَيْرُ ذَٰلِكَ ، فَقَدْ رَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ٱبْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ(٤) .

وَوَرَدَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ(٥) .

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي فَضْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥/ ٥٨٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦١٨) وَقَالَ : هَـٰذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٤/ ٢٠٥) .

(٣) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ ٱلْمَغَازِي ، بَابُ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٦/ ١٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٤٤٦٦) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي سِنِّ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمْ كَانَ حِينَ مَاتَ (٥/ ٦٠٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٥١) وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٥) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، ٱنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ =

قَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ : (ٱلْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ عُمُرَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَفَاتِهِ كَانَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً)[1] .

* * *

= صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي سِنِّ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمْ كَانَ حِينَ مَاتَ (٥/ ٦٠٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦٥٢) .

(١) فَتْحُ ٱلْبَارِي (٨/ ١٥١) .

ثَانِيَ عَشَرَ : ٱلْبُكَاءُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ

حَـانَ ٱلْفِـرَاقُ وَهَـٰذَا ٱلْحُـزْنُ يُشْجِينِـي

يُبْكِـي ٱلأَحِبَّـةَ فِـي طَيْبَـةَ وَيُبْكِينِـي

وَيَبْكِي ٱلصَّحَابَةُ قَبْلَ مَوْتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَدَتْ عَلَيْهِ عَلامَاتُ ٱلْوَفَاةِ وَأَمَارَاتُهَا .

وَبَكَى ٱلأَنْصَارُ حِينَ حَجَبَهُمْ مَرَضُهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَبَكَتْ فَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا وَسَائِرُ ٱلْمُسْلِمِينَ .

وَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَهُوَ يُقَبِّلُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَالَتْ دُمُوعُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا كَٱللُّؤْلُؤِ كُلَّمَا تَذَكَّرَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَحِينَ تَسْمَعُ أُمُّ ٱلْفَضْلِ وَلَدَهَا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ يَقْرَأُ (وَٱلْمُرْسَلاتِ عُرْفًا) تَقُولُ وَقَدْ هَيَّجَتْهَا ٱلذِّكْرَيَاتُ :

١١٤ـ (يَا بُنَيَّ ؛ وَٱللهِ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَـٰذِهِ ٱلسُّورَةَ ؛ إِنَّهَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي ٱلْمَغْرِبِ)[١] .

وَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا لَمَّا زَارَهَا ٱلصَّاحِبَانِ ، وَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى ٱلْبُكَاءِ .

وَلاَ زَالَتْ تَنْتَظِمُ حَبَّاتُ ٱللُّؤْلُؤِ عَلَىٰ وُجُوهِ ٱلْعَابِدِينَ كُلَّمَا تَذَكَّرُوا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (ٱنْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا ٱنْتَهَيَا إِلَيْهَا .. بَكَتْ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى ٱلْبُكَاءِ ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا)[٢] .

وَبَعْدَ سَنَةٍ ثَقِيلَةِ ٱلْخُطُوَاتِ ، خَلَتْ فِيهَا ٱلدُّرُوبُ مِنْ حَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلاَ أُحُدٌ يَشْرُفُ بِهِ ، وَلاَ ٱلْعَقِيقُ ، وَلاَ ٱلْعَوَالِي ٱلْغَالِيَاتُ .. يَصْعَدُ أَبُو بَكْرٍ ٱلْمِنْبَرَ يَوْمًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ

---

(١) صَحِيحُ ٱلْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ ٱلأَذَانِ ، بَابُ ٱلْقِرَاءَةِ فِي ٱلْمَغْرِبِ (١/ ١٥٢) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٧٦٣) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، ٱنْظُرِ ٱلْحَدِيثَ رَقْمُ (٥١) فِي هَـٰذِهِ ٱلدِّرَاسَةِ .

يَقُولَ شَيْئًا ، فَيَتَذَكَّرُ حَدِيثًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُهُ فَيَقُولُ :

١١٥ـ (قَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَامَ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ ٱلأَوَّلِ ، ثُمَّ بَكَىٰ ، ثُمَّ أَعَادَهَا ، ثُمَّ بَكَىٰ ، ثُمَّ أَعَادَهَا ، ثُمَّ بَكَىٰ)[١] .

وَيَبْكِي ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا وَهُوَ يَتَذَكَّرُ حَبِيبَهُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَيَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مَرَّةً :

١١٦ـ (يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ ، وَمَا يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ ؟! ثُمَّ بَكَىٰ حَتَّىٰ بَلَّ دَمْعُهُ ٱلْحَصَىٰ) ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : يَا بْنَ عَبَّاسٍ ؛ وَمَا يَوْمُ ٱلْخَمِيسِ ؟ قَالَ : (ٱشْتَدَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ)[٢] ثُمَّ تَخْبِسُهُ ٱلْعَبَرَاتُ وَلاَ يَسْتَطِيعُ ٱلْكَلاَمَ ، وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ(حَتَّىٰ رَأَيْتُ عَلَىٰ خَدَّيْهِ كَأَنَّهَا نِظَامُ ٱللُّؤْلُؤِ)[٣] .

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ٱنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَىٰ » (١/ ٧٥) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٧٤) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلْوَصِيَّةِ ، بَابُ تَرْكِ ٱلْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ (٣/ ١٢٥٧) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٣٧) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ ٱلْوَصِيَّةِ ، بَابُ تَرْكِ ٱلْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ (٣/ ١٢٥٩) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (١٦٣٧) ٱلْمُتَابَعَةُ (٢١) .

فَهَلِ ٱنْقَطَعَ عَنِ ٱللُّؤْلُؤِ نِظَامُهَا ؟!

تَقُولُ عُيُونُ ٱلْعَابِدِينَ وَأَفْئِدَتُهُمْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ ، بَلْ بِكُلِّ ٱلْعَالَمِينَ وَمَا فِي ٱلْكَوْنِ يَا حَبِيبَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ .

فَكَيْفَ كَانَ حَالُ ٱلأَصْحَابِ وَهُمْ يَمُرُّونَ بِٱلْبِقَاعِ وَٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي عَاشُوا مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، وَنَزَلَ ٱلْوَحْيُ فِيهَا ، وَدَارَتْ رَحَى ٱلْحَقِّ تَدْرُسُ مَعَالِمَ ٱلشِّرْكِ فِيهَا ، كَيْفَ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ ؟!

كَيْفَ كَانَ صَوْتُ بِلَالٍ يَرْفَعُ ٱلأَذَانَ لَا يَسْمَعُهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! وَهَلْ لَا زَالَ ٱلْمَاءُ عَذْبًا ؟! أَوَبَقِيَتِ ٱلسَّمَاءُ صَافِيَةً ؟! فَقَدْ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَهَلْ حِينَ نَادَى ٱلْمُنَادِي فِي ٱلنَّاسِ : أَنْ مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ٱكْتَحَلَتْ بِٱلنَّوْمِ ٱلْعُيُونُ ؟!

وَكَيْفَ كَانَتِ ٱلْحَبِيبَةُ عَائِشَةُ وَٱلْبَضْعَةُ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ؟!

كَيْفَ كَانَ ٱلصَّاحِبَانِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟! كَيْفَ كَانَ عُثْمَانُ ؟! وَكَيْفَ كَانَ عَلِيٌّ وَٱلْعَبَّاسُ وَأَبْنَاءُ جَعْفَرٍ ؟! كَيْفَ كَانَ ٱلْحِبُّ بْنُ ٱلْحِبِّ ؟!

وَكَيْفَ مَضَتِ ٱلأَيَّامُ ٱلثِّقَالُ عَلَى ٱلْغَالِيَةِ فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاءِ شُهُورًا سِتَّةً وَهِيَ تَنْتَظِرُ ٱلْوُصُولَ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؟! مَا هَوَّنَهَا عَلَيْهَا غَيْرُ تِلْكَ ٱلْبِشَارَةِ أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِنَّمَا كَانَ ٱلصَّبْرُ بِٱنْتِظَارِ ٱلاجْتِمَاعِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَتُلَخِّصُ كَلِمَاتُ ٱلصَّحَابَةِ عِنْدَ ٱلْوَفَاةِ ٱلْحِكَايَةَ كُلَّهَا ، فَإِنَّمَا يَطِيبُ ٱلْمَوْتُ بِٱجْتِمَاعِ ٱلأَحِبَّةِ : مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ .

١١٧ـ فَقَدْ كَانَ آخِرَ كَلَامِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : (ٱلْيَوْمَ نَلْقَى ٱلأَحِبَّةَ : مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ)(١) .

١١٨ـ وَهَاكَ قِصَّةَ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا مَعَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا وَهِيَ تَجُودُ بِنَفْسِهَا وَتَمُوتُ ، يَرْوِيهَا مَوْلَاهَا ذَكْوَانُ قَالَ : (ٱسْتَأْذَنَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا عَلَىٰ عَائِشَةَ وَهِيَ تَمُوتُ وَعِنْدَهَا ٱبْنُ أَخِيهَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَقَالَ : هَـٰذَا ٱبْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ وَهُوَ مِنْ خَيْرِ بَنِيكِ ، قَالَ ٱبْنُ

---

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، ٱنْظُرْ : « ٱلْمُعْجَمُ ٱلأَوْسَطُ » (٦/٣٠١) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٦٤٧١) .

عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَبْشِرِي يَا أُمَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَوَٱللهِ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْكِ كُلُّ أَذىً وَنَصَبٍ وَتَلْقَي ٱلأَحِبَّةَ : مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ . . إِلاَّ أَنْ تُفَارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ)[1] .

إِذًا هُنَـــــاكَ ٱلْمُلْتَقَـــــىٰ عِنْــدَ ٱلْحَبِيــبِ ٱلْمُصْطَفَـــىٰ
فِــي دَارِ خُلْــدٍ مَــا بِهَــا إِلاَّ ٱلسَّعَــادَةُ وَٱلــرِّضَــا

وَلَقَدْ فَقِهَ هَـٰذَا ٱلأَمْرَ شِبْلٌ مِنْ أَبْنَاءِ حَارَتِنَا كَانَ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ وَالِدُهُ وَعَمَّاهُ خِلاَلَ عَامَيْنِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَهُوَ يَحْتَفِي بِشُهَدَاءِ أُسْرَتِهِ وَٱلْمَسْجِدِ : أَيُّهَا ٱلشُّهَدَاءُ ؛ لَقَدْ حَبَّبْتُمْ إِلَيْنَا ٱلآخِرَةَ ، وَشَوَّقْتُمُونَا إِلَيْهَا ، فَمَتَىٰ يَكُونُ ٱللِّقَاءُ ؟!

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، اُنْظُرْ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (١/ ٣٤٩) .

ٱلْخَاتِمَةُ

كَانَتْ هَـٰذِهِ ٱلْجَوْلَةُ ٱلْحَزِينَةُ مَعَ وَفَاةِ ٱلسَّيِّدِ ٱلنَّبِيِّ أَبِي ٱلْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طَافَ فِيهَا ٱلْبَاحِثُ مَعَ ٱلصَّحَابَةِ فِي أَرْجَاءِ ٱلْمَدِينَةِ ؛ فِي عَوَالِيهَا وَثَنَايَاهَا ، فِي مَسَاجِدِهَا وَمَنَازِلِ ٱلْوَحْيِ فِيهَا ، فِي آطَامِهَا وَحَوَائِطِهَا ، فِي ٱلْبَقِيعِ ، فِي ٱلْحُجْرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلشَّرِيفَةِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ(١) .

وَشَاهَدَ ٱلْقَارِىءُ فِي هَـٰذَا ٱلْبَحْثِ آخِرَ ٱلأَحْدَاثِ وَأَحَرَّهَا ،

---

(١) يَصْلُحُ حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (لَـمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ . . أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ) تَأْصِيلاً مُبَكِّرًا لِوَصْفِ ٱلْمَدِينَةِ بِـ (ٱلْمُنَوَّرَةِ) ، وَٱللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ ، وَٱلْحَدِيثُ صَحِيحٌ ، أُنْظُرْ : « سُنَنُ ٱلتِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ ٱلْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي فَضْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥/٥٨٨) رَقْمُ ٱلْحَدِيثِ : (٣٦١٨) وَقَالَ : هَـٰذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

وَأَقْرَبَهَا إِلَى ٱلنُّفُوسِ وَأَشَدَّهَا ، وَٱسْتَمَعَ إِلَى ٱلْهَمَسَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلأَخِيرَةِ ، وَإِلَى ٱلْمُنَاجَاةِ ٱلْخَاتِمَةِ .

وَعِشْنَا مَعَ ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمُ ٱلْحَدَثَ ٱلْعَظِيمَ ، وَٱلْجُرْحَ ٱلأَلِيمَ ؛ وَفَاةَ ٱلنَّبِيِّ ٱلأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا ، وَعَائِشَةَ وَفَاطِمَةَ ، رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَسَمِعْنَا عِتَابَ ٱلزَّهْرَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ : كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تُهِيلُوا ٱلتُّرَابَ عَلَىٰ أَبِي ٱلْقَاسِمِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

وَيَعْلَمُ ٱللهُ أَنَّ مِثْلَ هَـٰذِي ٱلدِّرَاسَةِ مِنْ أَثْقَلِ أَنْوَاعِ ٱلدِّرَاسَاتِ عَلَى ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُسْلِمَةِ ، فَهَلْ مَاتَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا ؟! مَا صَدَّقَهَا عُمَرُ ، وَلَمْ تُصَدِّقْ عَائِشَةُ ، وَدَفَعَتْ أُمَّهَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَبَرَ .

مَا مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَهْتِفُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ عَلَيْهِ .

مَا مَاتَ سَيِّدُ سَادَةِ ٱلشُّهَدَاءِ وَٱلشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .

مَا مَاتَ سَيِّدُنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلأُمَّةُ بَلَغَتْ مَا بَلَغَ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ، وَسَارَتْ بِكِتَابِ ٱللهِ وَسُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي كُلِّ آفَاقِ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ بِعِزٍّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ .

يَا سَيِّدَ ٱلْعُبَّادِ ؛ قَدْ بَزَغَ ٱلْهِلاَلُ ، نَفَرَتْ رَكَائِبُ زَحْفِنَا نَحْوَ ٱلْيَمِينِ وَمِنْ شِمَالٍ ، هَـٰذِي ٱلْمَدَائِنُ أَسْلَمَتْ ، وَعَفَا ٱلصَّبَا أَثَرَ ٱلضَّلاَلِ .

لَمْ يَمُتْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْمُسْلِمُونَ تَطِيرُ بِهِمْ أَشْوَاقُهُمْ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ تُنَاجِيهِمْ وَتُحَادِيهِمْ .

هَـٰذِي ٱلْعَوَالِي وَٱلنَّسَايِمُ مِنْ رُبَىٰ طَيْبَةَ تُهَادِي ، تَهْفُو إِلَيْكَ مَعَ ٱلأَصَايِلِ مِنْ مَآذِنِنَا تُنَادِي ، تَمْضِي بِنَا أَحْلاَمُنَا فِي ٱللَّيْلِ فِي وَقْتِ ٱلسَّحَرِ ، نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ رَوْضَةِ ٱلْمُخْتَارِ تُشْرِقُ كَٱلْقَمَرِ .

يَا أَيُّهَا ٱلْعُبَّادُ ؛ آهٍ لَوْ أَنَّ أَنْجَشَةً أَتَىٰ ، يَحْدُو بِنَا لِلْمُلْتَقَىٰ ، لِلْمَسْجِدِ ٱلنَّبَوِيِّ يَحْوِينَا ، وَيَحْوِي ٱلذِّكْرَيَاتِ ، يَا أَيُّهَا ٱلْعُبَّادُ ، آهٍ .

يَا سَيِّدَ ٱلشُّهَدَاءِ ؛ حَيَّ عَلَى ٱلصَّلاَةِ ، يَا سَيِّدَ ٱلشُّهَدَاءِ ؛ حَيَّ عَلَى ٱلْفَلاَحِ ، قَدْ أَشْرَقَتْ فِي كُلِّ وَادٍ .

نَادَى ٱلْمُنَادِي مِنْ رُبَىٰ طَيْبَةَ بِلاَلُ ، وَمَضَتْ رَكَائِبُ زَحْفِنَا مُتَضَمِّخِينَ ٱلْمِسْكَ مِنْ طِيبِ ٱلْفِعَالِ .

سَيِّدِي أَبَا ٱلْقَاسِمِ ؛ « **وَأَظْلَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ** » لَمَّا طَوَاكَ ٱلثَّرَىٰ ، فَلاَ عَاشَ مَنْ لَمْ يَعِشْ لِرِسَالَتِكَ رِسَالَةِ ٱلسَّمَاءِ .

سَيِّدِي رَسُولَ ٱللهِ ؛ سَلاَمٌ عَلَيْكَ فِي ٱلأَوَّلِينَ ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ فِي ٱلآخِرِينَ ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ . . .

سَيِّدِي أَبَا ٱلْقَاسِمِ يَا حَبِيبَ قَلْبِي ، وَيَا حَبِيبَ رَبِّي ؛ عَلَيْكَ ٱلسَّلاَمُ . . .

وَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

* * *

مُحتوى الكتاب

ٱلْمَوْضُوعُ	ٱلصَّفْحَةُ
بَيْنَ يَدَي ٱلْكِتَابِ	١١
تَقْدِيمُ ٱلْأُسْتَاذِ أَبِي أَيْمَنَ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ طَهَ	١٦
مُقَدِّمَةُ ٱلْبَاحِثِ	١٨
أَوَّلاً : ٱلْأَمَارَاتُ ٱلدَّالَّةُ عَلَى ٱقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٦
ثَانِيًا : تَلَطُّفُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِ أَصْحَابِهِ بِحُضُورِ أَجَلِهِ	٣٣
ثَالِثًا : تَمْرِيضُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ وَتَطَلُّعُهُ إِلَىٰ بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا	٤٥
رَابِعًا : آخِرُ ٱلْخُطَبِ ٱلنَّبَوِيَّةِ	٥٠
خَامِسًا : آخِرُ ٱلْأَيَّامِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا . . .	٥٣
سَادِسًا : آخِرُ ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلْوَصِيَّةُ بِٱلصَّلَاةِ	٥٧

ٱلْمَوْضُوعُ	ٱلصَّفْحَةُ

سَابِعًا : ٱحْتِضَارُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ . . . ٦٤

ثَامِنًا : آخِرُ ٱلْهَمَسَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٧٥

تَاسِعًا : ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ ٨٢

عَاشِرًا : أَثَرُ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ٨٤

حَادِيَ عَشَرَ : غُسْلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْفِينُهُ وَٱلصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ ٩٨

ثَانِيَ عَشَرَ : ٱلْبُكَاءُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ ١١٦

ٱلْخَاتِمَـةُ ١٢٢

مُحْتَوَى ٱلْكِتَابِ ١٢٧

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ